هل الكتاب المقدّس صحيح... حقّاً؟

[حوار حول التشكيك والأدلّة والحقيقة]

أحاديث في مقهى

هل الكتاب المقدّس صحيح... حقّاً؟

جوش ماكدويل

و

دايڤ ستيريت

المحتويات

١. التشكيك الفكريّ.....٧

٢. مقهى كاروث هايڤـن.....١٦

٣. التصارع مع الإيمان.....٢٦

٤. المُجاهِر في اللاأدريّة.....٣٤

٥. هل استعارت المسيحيّة من الأساطير الوثنيّة؟.....٤٠

٦. نزهة عـلى درب كاتي.....٥٥

٧. متى تمّ جمع أسـفار الكتاب المقـدّس؟.....٦٠

٨. بارت إيرمان وسوء الاقتباس من يسوع.....٦٧

٩. المعصوم من الخطأ.....٧١

١٠. الفكر المضاد للأمور الخارقة للطبيعة.....٧٦

١١. مساعدة جمال.....٨٤

١٢. متى كُتب العهد الجديد؟.....٨٨

١٣. الاختبار البيبليوغرافي.....١٠١

١٤. ماذا عن «الأخطاء» الواردة في الكتاب المقدّس؟.....١١٤

١٥. اختبار الأدلة الداخليّة.....١٢٣
١٦. جوزيف سميث ومحمّد والادعاءات الأخرى بقول الحقّ...١٣٠
١٧. نيــك.....١٣٦
١٨. اختبار الأدلة الخارجيّة.....١٤٠
١٩. هل اخترع التلاميذ ذلك؟.....١٤٥
٢٠. الأسفار القانونيَّة.....١٥٢
٢١. مراسيم جنازة في بورتلاند.....١٦٣
٢٢. إعادة النظر في الحقيقة.....١٦٨
٢٣. ماذا عن الأناجيل الأخرى؟.....١٧٢
٢٤. الإنجيل الحقيقي.....١٧٧

الفصل الأول

التشكيك الفكريّ

منتصف سبتمبر/ أيلول

«كم واحداً منكم هنا ترعرع في تكساس؟»

ارتفعت أيدي نصف الطلاّب في الصفّ تقريباً.

«هـذا جيّـد، أنـا مـسرور برؤيـة ذلـك. لقـد اسـتمتعت أنا وزوجـتي بالعيـش هنـا لمـا يقـارب اثنتي عشرة سـنة حـتّى الآن. وقـد تعلّمنـا بعـض الأمـور الملفتـة فمثـلاً هنـا في الجنـوب ولاسـيما هنـا تحديـداً في دالاس الـتي تُعتَـبر مشـبك الحـزام الإنجيـلي، لا نجـرؤ عـلى التشـكيك في السّـلطة التاريخيّـة لأسـفار

الكتـاب المقـدّس، وإلاّ سـوفَ يُحكـمُ علينـا بالذهـاب إلى جهنّـم!»

ارتفـع صـدى بعـض الضحـكات في أنحـاء قاعـة المحـاضرات الصغـيرة. وكان الدكتـور ويليـام بيترسـون أستاذ متخصّص في الدراسات الدينيّة وخبير لامع في النقد النـصّي القديـم وذا آراءٍ معروفـة جـدّاً. ابتسـم بطريقـة ساخرة وتابـع حديثـه: «بـكلّ صـدق، أنـا أقـدّر قلـق هـؤلاء الأصوليّـين والكاثوليكيّـين والإنجيليّـين عـلى نفوسـنا، وأعتقـد أنّهـم صادقـون بإخـلاص، ولكنهـم بصـدق مضلَّلـون.»

اسـتمع نيـك طالـب السـنة الأولى في جامعـة أوبـال بانتبـاه بينمـا تابـع الدكتـور بيترسـون حديثـه: «المسـيحيّون المحافظـون سريعـون في إدانـة الأشـخاص الأكاديميّـين مـن بيننـا عـلى آرائنـا، لكـنّ سـؤالي إليهـم هـو التـالي: مـا هـو الأسـاس التاريخـي للإيمـان بـأنّ الكتـاب المقـدّس هـو فعليًـا كلمـة الله المعصومـة عـن الخطـأ؟ أودّ أن أفهـم مـا الـذي يُقنعهـم ليصدّقـوا فعليًـا بـأنّ نُسـخَ الكتـاب المقـدّس المترجمـة اليـوم هـي قريبـة حـتّى مـن النسـخ الـتي تـمّ

تدوينها في الأصل؟ يبدو كلام الكتاب المقدّس جيّدًا وأمينًا ولكن ما هي الحقائق؟ هذا هو الموضوع الذي سنستكشفه معاً الآن. هل أنتم جاهزون للحقائق؟»

حلَّ السّكون في القاعة بينما توقّف الأستاذ قليلاً ليترك كلامه يؤثّر في السّامعين. «إليكم الحقائق التي يتّفق عليها العلماء الرائدون في جميع أنحاء البلاد: ليس لدينا مجموع الكلام الذي يقول لنا عنه هؤلاء المسيحيّون الأصوليّون، بأنّ الله أوحى به بشكل معصوم عن الخطأ. هذا صحيح. كلّ ما لدينا هو كلام نُسِخَ على يدِ كتبةٍ، أحياناً بشكل صحيح ولكن طبعاً ليس دائمًا. لدينا نسخ مملوءة بالأخطاء تمّت إزالتها منذ عقود من النُسخات الأصليّة وهي تختلف عنها بألف طريقة وطريقة.»[١]

بدأت نبضات قلب نيك تتسارع وهو يستمع إلى الأستاذ الذي يناقض بكلامه تعليم الراعي في كنيسة جماعة «بالم سبرينغز» في بلدته. شعر في داخله بأنّه حان

١. راجع بارت إيرمان، سوء الاقتباس من يسوع: القصة وراء من غيّر الكتاب المقدس ولماذا (نيويورك: هاربر كوليتز، ٢٠٠٥)، ٧.

الوقـت ليتـصرّف بجـرأة مـن أجـل المسـيح ويأخـذ موقفًـا مـن أجـل الـربّ. فقـال «هـذا غـير صحيـح. كيـف تجـرؤ عـلى التشـكيك في كلمـة الله.»

أمّـا الأسـتاذ الـذي فوجـئ نوعًـا مـا بمقاطعـة الطالـب، فـردّ بلطـف «حسـناً، لـمَ لا تقـول لنـا مـا هـو الصّحيـح، ومـا الأمـر غـير الدقيـق في مـا قلتُـه للتـو؟»

فرفـع نيـك صوتـه وهـو يشـعر بالقليـل مـن الإحـراج، وبأنّـه وضـع نفسـه في موقـف علـنيّ وقـال: «حسـناً، أنـا مسـيحيّ وأنـا أؤمـن بـأنّ الكتـاب المقـدّس هـو كلمـة الله المُوحـى بهـا. وأنـا أقبلـه عـلى أنّـه كلمـة الله بالإيمـان! تقـول الرسـالة إلى العبرانيّـين: "مـن دون الإيمـان، يسـتحيل إرضـاء الله"، وبمـا أنّ الله يتمتّـع بالسـيادة ونحـن مجـرّد كائنـات بشريّـة، فمـن نحـن لنشـكّك في سـيادته؟ والكتـاب المقـدّس يقـول أيضًـا: "كلّ الكتـاب هـو موحـىً بـه مـن الله، ونافـع للتعليـم والتوبيـخ، للتقويـم والتأديـب الـذي في الـبرّ. مسـتعدّين دائمًـا لمجاوبـة كل مـن يسـألكم.»

ابتسم الدكتور بيترسون وأومأ برأسه قائلاً: «أنا أقدّر إيمانك الشخصيّ وحرصَك على اقتباس أجزاء من عبرانيّين ١١ ورسالة تيموثاوس الثانية ٣. هلاّ ذكّرتني باسمك؟»

«اسمي نيك.»

«أنا مسرور لأنّك موجود في هذا الصفّ يا نيك. أذكر أنّني شخصيًا حفظتُ هذه الآيات نفسها. وبحسب ذكرياتي، أظنّ أنّ ذلك كان خلال حضوري أكاديميّة كالفِن المسيحيّة خلال سنوات المراهقة الأولى.» وبعد أن لاحظ الدهشة التي ارتسمت على وجه نيك، تابع قائلاً «على فكرة يا نيك، أظنّ أنّ آية تيموثاوس الثانية ٣ تنتهي بعبارة "لكي يكون انسان الله كاملاً، متأهّبًا لكلّ عمل صالح". ربّما دمجت بينها وبين بطرس الأولى ٣: ١٥ التي تذكر الاستعداد للمجاوبة أو الدفاع. لا بأس بهذا الأمر ولكنّه خارج عن الموضوع. ما كنتُ أقوله قبل ذلك يا نيك، هو إنّه ليس بإمكاننا أن نتأكّد فعليًا من أنّ سفر رسالة العبرانيّين ورسالة تيموثاوس الثانية قالا فعليًا تلك الكلمات التي اقتبستَها أنتَ للتو والتي حفظناها نحن

الاثنين، فنحن لا نملك «النسخة الأصليّة» من الكتاب المقدّس. وإنّ الكتب المقدّسة التي نمتلكها نحن الاثنين قد تمّ تغييرها جذريّاً خلال الألفي سنة الماضية.»

قال نيك باندفاع «لا أصدّق ذلك!»

فسأل الأستاذ المتميّز: «حقاً؟ هلاّ تُثقّفُنا إذًا؟» أمّا بقيّة الصفّ فتذمّروا مظهرين انزعاجهم من هذا المسيحي الفظّ والمندفع.

قال نيك بتردّد: «حسناً... ممم. لا يمكنك... ما أعنيه هو أنّ الأمر لا يتعلّق بالكلمات فحسب، يا أستاذ. فالله يستمرّ في تغيير حياة البشر، وأنا أختبر وجود يسوع في حياتي اليوميّة. و... ممم... أنا أتذكّر أيضاً، عندما ذهبتُ إلى مخيّم الشبيبة في تايلر، تحدّث أمامنا ملحدٌ سابق، وأخبرنا عن شهادته وقال إنّنا نملك أدلّة أثريّة ومخطوطات تاريخيّة قديمة أو نسخ من الكتاب المقدّس تثبت كلمة الله. يا أستاذ، إنّ هذا الملحد السّابق قد أصبح مسيحيًا الآن!» شدّد نيك على هذا الجزء الأخير

مـن كلامـه بثقـة مؤمنًـا بـأنّ الـروح القـدس أعانـه عـلى إنهـاء كلامـه بشـكل أقـوى مـن الطريقـة الـتي بـدأ فيهـا.

«يـا نيـك، مـن المؤكّـد أنّنـا نمتلـك مخطوطـات أو نسـخًا مــن الرّســائل الأولى والأناجيــل المكتوبــة، ولكــنّ الســؤال هــو أيّ نــوع مــن المخطوطــات هــي! فقــد اطّلعــتُ عــلى البعـض مـن هـذه المخطوطـات بنفـسي يـا نيـك، وإنّ عـدد المتغـيّرات أو الاختلافـات بـين النّسـخ المتعـدّدة المكتوبـة بخـطّ اليـد يبلـغ مئـات الألـوف![٢] وقـد انتهـى الأمـر بمعظـم العلمــاء في البلــد بالاعــتراف بهــذه الوقائــع. عــلى ســبيل المثـال، ثمّـة رجـل أكـنّ لـه الاحـترام اسـمه بـارت إيرمـان، وهــو رئيــس القســم الديــنيّ في جامعــة كارولاينــا الشــماليّة شـابل هيـل، وقـد نـشر بعـض الأعمـال الأكاديميّـة الممتـازة حــول النقــد النــصّي.»

اقـترب الدكتـور بيترسـون مـن طلاّبـه بضعـة خطـوات وجلـس عـلى مقعـده بالقـرب مـن الصـفّ الأمامـي حيـث كان نيـك جالسـاً. «أنـا أقـدّر إيمانـك الصّـادق يـا نيـك، وأحـترم

٢. راجع إيرمان، سوء الاقتباس من يسوع، ٨٩.

ديانتـك، لكـنّ الهـدف مـن هـذا الصـفّ هـو دراسـة الدّيـن تاريخيًـا. دعـوني أطـرح عليكـم سـؤالاً أيّهـا الطـلاّب. أيـن هـي النسـخة الأصليّـة مـن الكتـاب المقـدّس الـتي أوحـى بهـا الله؟ هـل هـي موجـودة في متحـفٍ مـا؟ هـل يعـرف أحدكـم؟ نيـك؟ أيّ أحـد؟»

عـمَّ السّـكون في أرجـاء الصـفّ، وبحلـول هـذا الوقـت كان نيـك أيضًـا عاجـزًا عـن الـكلام.

«هيّـا أيّهـا الطـلاّب، انضمّـوا إلى الحديـث. بإمـكان أيّ أحـد منكـم التكلّـم ومسـاعدة نيـك!» بعـد مـرور لحظـات قليلـة محرجـة، تابـع الأسـتاذ كلامـه، «لا بـأس يـا نيـك. لا أحـد يعلـم. اسـتعموا إليّ أيّهـا الطـلاّب. نحـن لا نمتلـك النّسـخة الأصليّـة. مـا مـن إثبـات عـلى أنّ «الله» أوحـى بهـذه الرسـائل. إذا كان الله المذكـور في الكتـاب المقـدّس موجـودًا وكلّي القـدرة، ألا تظنّـون أنّـه كان ليزيـل الارتبـاك عنّـا جميعًـا؟ مثـلاً إذا ترعرعتـم وكنتـم تذهبـون إلى الكنيسـة مثـلي أو مثـل صديقنـا نيـك، فكتابُكـم المقـدّس يحتـوي ربّمـا عـلى أربعـة أناجيـل في العهـد الجديـد. ولكـن هـل تعلمـون أنّـه كان يوجد

الكثير غيرها من الأناجيل التي لم تُضَمّ إليه؟ ماذا عن إنجيل توما أو أناجيل فيليب ومريم المجدليّة؟[٣]

أيّها الطلاّب، أنا أهتمّ لأمر معتقداتكم الشخصيّة. ولكن تهمّني أيضاً نزاهتكم الفكريّة في جميع المجالات، بما فيها تاريخ الأديان. ليته كان لديّ الوقت اليوم لأشرح لكم كلّ هذا، ولكن سنتطرّق إلى هذا الموضوع مع تقدّم الفصل الدّراسي. ما من شيء جديد أو فريد من نوعه في رسالة المسيحيّة. عندما بدأتُ أدرُس الأدب الكتابيّ في كليّة الدراسات العليا، اكتشفتُ أنّ القصص عن آلهة تموت وتقوم من الموت وولادات من عذراء وصانعي المعجزات كانت منتشرةً بالفعل في العالم المعروف الذي كُتبت فيه الأناجيل.[٤] وسنتطرّق إلى هذه الأمور بشكل أعمق في المرّة القادمة التي نجتمع فيها. فلينصرف الصفّ.»

٣. المرجع نفسه، ٢٤.

٤. غريغوري أ. بويد وبول رودس إيدي، ربّ أم أسطورة: التصارع مع معضلة يسوع (غراند رابيدس: بيكر، ٢٠٠٧)، ٥٢-٥٣.

الفصل الثاني

مقهى كاروث هايڤن

اندفـع نيـك إلى خـارج الصـفّ والغضـب والإحبـاط يملآنـه. وبينمـا كان يمـشي بالقـرب مـن قاعـة العلـوم، سـمع صوتًـا مألوفًـا: «نيـك! نيـك! كيـف حالـك؟»

استدار ورأى أندريـا، طالبـة في اختصـاص العلـوم الحيّة كان قـد التقـى بهـا في يـوم التوجيـه الأوّل، وهـي تعـبر فـوق العشـب لتلاقيه.

قال نيك: «مرحباً يا أندريا.»

«هـل أنت عـلى ما يُرام يـا نيك؟ تبدو

مستاءً حقاً.»

«أنـا بخـير يـا أندريـا، كلّ مـا في الأمـر هـو أنّ الدكتـور بيترسـون أسـتاذي في حصّـة التعليـم الديـني قـال أشـياءَ لا أوافقـه الـرأي بشـأنها.»

«أنـت تحـضر حصـص الدكتـور بيترسـون؟ لقـد أحببـتُ حصّتـه عندمـا حضرتهـا في العـام المـاضي! مـا الـذي قالـه؟»

«مـن الصعـب أن أشرح لـكِ ذلـك. ثمّـة قضايـا عديـدة لا نتّفـق عليهـا نحـن الاثنـان. يـا إلهـي كـم لديـه أفـكاره غريبة!»

ابتسـمت أندريـا: «يـا نيك، هـذا ما قلتـه لي في المرّة الأولى الـتي تكلّمنـا فيهـا بالأمـور الروحيّـة، أتذكُـر؟ أنـا متأكّـدة بـأنّ الأمـور سـتجري عـلى مـا يـرام. نحـن مـا زلنـا أصدقـاء، أليـس كذلـك؟ أنـا ذاهبـة إلى مقهـى كاروث هايفـن لأدرس لبضـع سـاعات، لمـاذا لا تـأتي معـي لـكي نتحـدّث في الموضـوع؟»

نظـر نيـك إلى سـاعته ثـمّ أومـأ برأسـه: «حسـنًا، لـديّ بعـض الوقـت قبـل بـدء حصّـتي التاليـة.»

بعـد وقـت قليـل، عنـد الطاولـة بجانـب النافـذة، ارتشـفت أندريـا مـن فنجـان الماكياتـو بالكراميـل الـذي طلبته ونظـرت إلى نيـك: "إذًا أخـبرني يـا نيـك مـا الـذي يـدور في رأسـك؟ مـا الـذي قالـه الدكتـور بيترسـون؟»

«يـا أندريـا، أنـت تعرفـين أنـني أتمتّـع بعلاقـة شـخصيّة مـع يسـوع، أليـس كذلـك؟ أنـا أؤمـن بـأنّ الكتـاب المقـدّس مُوحـىً بـه مـن الله وبـأنّ يسـوع هـو الطريـق والحـقّ والحيـاة، لكـنّ الدكتـور بيترسـون أخبرنـا أنّـه تـمّ تغيـير الكتـاب المقـدّس وأنّ الكتـب المقدّسـة الـتي بـينَ أيدينـا اليـوم ليسـت صحيحـة!»

«يـا نيـك، أنـا أتفهّـم صعوبـة هـذا الأمـر عليـك، ولكنّني حـضرتُ صفّه، وأنا على يقين بأنّ الدكتور بيترسـون على حقّ.»

قـال نيـك متنهّـداً: «هـا نحـن نعـود مجـدّدًا للأسـطوانة نفسـها.»

«يـا نيـك، لقد تمّ تغيير الكتاب المقـدّس بالفعل، ولكنّني لا أزال أعتـبره كتابًـا ملهمًـا مثـل أعمـال هوميروس وفيرجيـل

وأفلاطون. لكنّني أتفهّم ما تمرّ به. فقد كان من الصعب عليّ القبول بذلك إلى أن بدأت أقرأ كتباً دينيّة أخرى خارج محيطي الخاصّ. عندما كنت أذهب إلى أكاديمية سانت ماري في المدرسة الثانويّة، لم يخبرني أحدٌ من أساتذة اللاهوت كيف أنّ الكنيسة الكاثوليكيّة اختارت وضع الأسفار التي تريدها في الكتاب المقدّس. كما أنّهم لم يخبروني بأنّ نُسخات الكتاب المقدّس التي يستعملها الكاثوليك والبروتستانت اليوم قد تغيّرت جذريًا عبر التاريخ، وقد قام القادة الدينيّون بتغييرها عمدًا في بعض الأحيان. لكنّ هذا الأمر منطقيّ، على اعتبار أنّه تمّ نسخُها مرّة تلو الأخرى لأكثر من ألفي سنة.»

حدّق نيك من النافذة إلى الخارج وهو يمضغ عود التحريك.

تابعت أندريا كلامها قائلةً: «ثمّة أمر آخر أيضًا. لم تخبرني كنيستي يومًا بأنّ القصّة المسيحيّة سرقت من الأساطير الوثنية التي كانت موجودة قبل المسيحيّة بكثير واستعارت منها!»

«لقد ذكر الدكتور بيترسون شيئًا عن هذا الموضوع أيضًا! ما كلّ هذا الأمر على أيّ حال؟ هل هذا هو ما يتكلّم عنه دان براون في رواياته؟»

«يا نيك، إنّه التاريخ. لقد أخبرنا الدكتور بيترسون عن قصص كثيرة غيرها: ميثراس، وأبولونيوس، وساباتي وغيرهم. هل شاهدت الفيديو على اليوتيوب تحت العنوان الانجليزي «تسايت-غايست، أعظم قصّة مُباعة على الإطلاق»؟»

«ماذا؟»

«حسنًا، أُنظر إلى هذا.»

أدارت أندريا جهازها الماكبوك ليتمكّن نيك من مشاهدة شريط الفيديو. فوضع سمّاعات الرأس وضغط على زرّ التشغيل وأخذ يسمع عن قادة دينيّين عبر التاريخ كانوا يتمتّعون بخصائص حياتيّة شبيهة بخصائص المسيح. وقد لمّح الفيديو إلى أنّ المسيحيّة سرقت ببساطة من قصص دينيّة أخرى كانت منتشرة قبل

سـنوات مـن ولادة يسـوع. أسـماء مثـل أتيـس مـن اليونـان، وكريشـنا مـن الهنـد، وديونيسـوس مـن اليونـان، وميـثرا مـن بـلاد فـارس قـد وردة في الفيديـو. وقـد وصـف الـراوي، بنـاءً عـلى علـم التنجيـم، كيـف أنّ كلّ واحـد مـن هـؤلاء القـادة الدينيّـين وُلـد مـن عـذراء يـوم ٢٥ ديسـمبر، وتـمّ اكتشـافه بنجـم مـن المـشرق، وعبـده ثلاثـة ملـوك، وبـدأ يعلّـم بعمـر اثـني عـشر سـنة، وتعمّـد ليبـدأ بالخدمـة في عمـر الثلاثـين، وكان لديـه اثنـا عـشر تلميـذًا، وقـام بمعجـزات، وكان معروفـاً بأنّـه «حمـل الله» و«النـور» وصُلـب، ودُفـن، وقـام في اليـوم الثالـث.٧

كان نيـك عاجـزًا عـن الـكلام خـلال الفيديـو بكاملِـه، إلاّ مـرّة واحـدة جحظـت فيـه عينـاه وقـال «مسـتحيييييل!».

في نهايـة الفيديـو، نظـر نيـك إلى أندريـا وقـال: «بغـضّ النظـر عمّـا يقولـه الدكتـور بيترسـون وهـذا الفيديـو الغـبيّ عـلى يوتيـوب، مـا زلـتُ أظـنّ أنّ الكتـاب المقـدّس هـو كلمـة الله، بالإيمـان!»

لـم يُـرد نيـك أن يعـترف لأندريـا، لكنّـه للحظـات قليلـة شـكّك في حقيقـة معتقداتـه المسـيحيّة.

تابـع نيـك كلامـه: «يـا أندريـا، إنّ كلام الله لـن يعـود إليـه فارغًـا، وأنـا عـلى ثقـة بـأنّ روحـه القـدّوس سـيتكلّم مـن خـلالي عندمـا لا أعـرف مـاذا أقـول. وحـتّى عندمـا لا تكـون لـديّ كلّ الأجوبـة فـالله يتمتّـع بالسّـيادة وهـو يغـيّر حيـاة كثيريـن بواسـطة روحـه القـدّوس. وعـلاوة عـلى ذلـك، قـد يكـون هـذا الفيديـو مجـرّدَ خدعـة. أنـا ذاهـب يـا أندريـا، عـليّ الذهـاب إلى الصـفّ.»

نظرت إليه أندريا وهو يعبِّئ حقيبة ظهره.

قبـل مغـادرة الطاولـة، سـألها نيـك: «هـل أنـتِ ذاهبـة إلى الحفلـة يـوم الجمعـة؟»

«أيّ حفلة؟»

أجاب نيك: «الحفلة في منزل جيسيكا.»

«نعـم، أنـا ذاهبـة، ولكـن مـاذا عنـك؟ لـم أظـنّ أنّـك من

النوع الذي يشرب.»

«لستُ كذلك، ولكن كما تعلمين، دعاني الله لأكون ملحًا ونورًا. حتّى أنّ يسوع أتى وأكل وشرب مع الخطاة، مثلك يا أندريا! أنا أمزح، لكنّ يسوع قال بحقّ: «ليس الأصحّاء بحاجة إلى طبيب، بل المرضى.»

«أنت أبله يا نيك، ولكنّك تعجبني. قد تكون وجهة نظرك للكتاب المقدّس من الطراز القديم ولكن أنت شخصٌ صادق على الأقلّ.»

مع مرور الأسابيع وازدياد معرفة نيك بالدكتور بيترسون، بدأت تساوره الشكوك حول إيمانه. كان لا يزال يسعى إلى حدّ ما أن يكون «شاهدًا مسيحيّاً» وأن يشاركَ برسالة التوبة والإيمان بالمسيح، ولكن في بعض الأحيان كان يُصاب بالاحباط. ولم يكن كلامه يفشل في تغيير معتقدات الناس فحسب، بل كان يجد أيضاً صعوبةً في التوفيقِ بين معتقداته وبين ما كان يتعلّمه في الصفّ.

وبشكل تدريجيّ، وبينما أصبح يتكلّم عن يسوع بشكل أقلّ ويتعلّم المزيد عن عدم موثوقيّة الكتاب المقدّس، بدأ ينحرف عن الإيمان المحافظ الذي نَشَأَ عليه.

في إحدى الليالي التي قضاها في حفلة أخرى من حفلات جيسيكا، شرب نيك بضعة كؤوس بيرة أكثر مما صمّم عليه. وسرعان ما بدأ يتصرّف بطريقة جسديّة مع جيسيكا. فبدأ الأمر بتلامس جسديهما الملتصقين وهما يرقصان على أغنية قديمة للمغنّي جاي زي، من ثمّ تطوّر الأمر بهما إلى تبادل القبلات في حوض الحمّام الساخن بعد أن غادر بعض المدعوّين الآخرين. وبعد ثلاثة أسابيع ومواعيد غراميّة أخرى عديدة، فعل شيئًا كان بالتأكيد سيخيّب آمال والدَيه وراعي الشبيبة السّابق في كنيسته لو عرفوا به. لقد فقد عذريّته! بالنّسبة إلى معظم الشباب الذين يبلغون سنّ التسعة عشر سنة، قد لا يكون هذا الأمر هامّاً ولكن بالنّسبة إلى نيك كان الأمر بالغ الأهميّة. غمره الشّعور بالذنب وشعر بأنّه أدار ظهره لله. قبل سنوات وفي مؤتمر للشّبيبة في الكنيسة،

قـد قطـع عهـدًا بعـدم ممارسـة الجنـس قبـل الـزواج وهـا هـو الآن لـم يـفِ بوعـده وكـسر التزامـه.

الفصل الثالث

التصارع مع الإيمان

في الأسبوع التالي، اتّصل نيك بدواين، راعي الشبيبة في الكنيسة في بلدته. عندما كان دواين يقود مجموعة المساءلة التي كان فيها نيك في فصل الصّيف الماضي، كان نيك يعترف له حين يفوّت أوقات التأمّل الروحيّ أو حين يتصارع مع الشَّهوة.

«يا دواين، أنا بحاجة إلى التحدّث معك عن بضعة أمور.»

طبعًا يا نيك، ما الأمر؟»

«هـل تؤمـن حقًـا يـا دوايـن بـأنّ الكتـاب المقـدّس الـذي في حوزتنـا اليـوم صحيـح؟»

«بالطبع يا نيك.»

«ولماذا تعتقد ذلك؟»

«هـل تتكلّـم بجديَّـة؟ الكتـاب المقـدّس هـو أعظـم كتـاب في العالـم. الكتـاب المقـدّس يقـدّم الحكمـة وحيـاتي هـي إثبـاتٌ حـيّ عـلى أنّ هـذا أمـر صحيـح.»

كان نيـك قـد سـمع هـذا الـكلام مـن قبـل وكان يخـبر النّـاس بالأمـر نفسـه.

«أجـل، ولكـن كيـف تعـرف أنّـه موثـوق منـه حقّـاً يـا دوايــن؟»

«ألا تذكُـرُ مـا علّمتـك خـلال الصّيـف؟ الكتـاب المقـدّس صحيـح بسـبب الإيمـان. قـال يسـوع إنّـه مـن دون الإيمـان لا يمكـن للإنسـان أن يدخـل ملكـوت السّـموات. وبغـضّ النظـر عـن الظـروف فمحبّـة الله لا تتغـيّر، عليـك أن تؤمـن بذلـك ببسـاطة وتبقـى ثابتًـا في خُطـاك! لا تـدع الشـيطان يشـدّك بعيـدًا يـا نيـك!»

«يـا دوايـن، كنـتُ أفكّـر في هـذه الطريقـة ولكـن في الآونـة الأخـيرة سـاورتني شـكوك كثـيرة. حـتّى أنّـني راجعـت الآيـات الـتي تعلّمناهـا الصيـف المـاضي ولكنّهـا لا تعـني لي شـيئًا. الدكتـور بيترسـون، أسـتاذي في التعليـم الديـنيّ، درَس البعـض مـن أقـدم النُسَـخ المتوفّـرة مـن الكتـاب المقـدّس وهــو يقــول إنّــه يوجــد مئـات الآلاف مــن الاختلافـات في النُسَـخ. كمـا أنّـه يقـول إنّـه يوجـد أناجيـل أخـرى كتبهـا أشـخاص مثـل تومـا ومريـم ويهـوذا، وإنّ معظـم المسـيحيّة استُعيرت مـن الأسـاطير الوثنيّـة. هـل تعـرف عـن كلّ هـذا؟»

وتـأنّى دوايـن قبـلَ أن يجيـب: «يـا نيـك، المسـيح لـم يدعونـا لنكـون كاملـين أو لمعرفـة جميـع الأجوبـة. هــو يدعونـا لنكـون صادقـين وحقيقيّـين. حافـظ عـلى ثقتـك بـه وهــو سـيريك الطريــق.»

«ربمـا يمكنـك أن تصـلّي مـن أجـلي يا دوايـن. في الأسـابيع

٥. راجع إيرمان، سوء الاقتباس من يسوع، ٨٩.

القليلة الأولى التي كنتُ فيها هنا شعرتُ بأنّني أسير في الطريق الضيّق بدون شرب الكحول ولا النظر إلى الصور الخلاعيّة ولكن مؤخّرًا، أنا أقوم بالاثنين، و... لقد التقيتُ بفتاة وأمضيتُ وقتًا معها أكثر ممّا كان ينبغي عليّ.»

«هل أقمت علاقة معها؟»

أجابَ نيك بتردّد: «حسناً، ليس على الفور، لكنّنا انسجمنا مع بعضنا للغاية وحصلت الأمور بسرعة و... أقمتُ علاقة معها منذ بضعة أيّام. لقد قمت بذلك مرّة واحدة وأنا أشعر بذنب شديد حيال الأمر، ولكن تساورني أيضًا بعض الشكوك الكبيرة يا دواين.»

«يؤسفني سماع ذلك يا نيك، ولكن تذكّر شيئاً: إنَّ الله يحبّك. طبعاً أنا لا أملك كلّ الأجوبة لكنّ الكتاب المقدّس يقول إنّنا «إذا اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتّى يغفر لنا خطايانا ويطهّرنا من كل إثم.»[٦]

٦. يوحنا الأولى ١: ٩

أنـا مُـدركٌ الـصّراع الـذي تواجهُـهُ لذلـك لا تنـسى أنّ الله يدعونـا إلى الـصّراع بشـكل صحيـح. نحـن لسـنا كاملـين وعلينـا أن نعـترف بشـكوكنا وخطايانـا. وأنـت قـد اعترفـتَ بهـا لي والله سـيكافئك عـلى صدقـك. إذا شـعرت بإغـراء التجربـة مـن جديـد اتّصـل بي ويمكننـا أن نصـلّي معـاً. واظـب عـلى قـراءة كلمـة الله، بالإيمـان، حـتّى وإن كنـتَ لا تفهـم! وبالمناسـبة، دعنـا نـأتي أمـام الـرّب بالصـلاة في هـذه اللحظـة.»

بعـد أن صـلّى القـسّ دوايـن شـعر نيـك بالتشـجيع وتأمّل بـأن يتمكّـن مـن الثبـات في مسـيرة الإيمان. كمـا قـرّر أنّ الخطأ الجنـسي الـذي ارتكبـه مـع جيسـيكا لـن يتكـرّر مـن جديـد. لكـنّ ذلـك القـرار كان قصـير الأمـد، ففي الأسـابيع الـتي تلت، وجـد نيـك أعـذارًا لا تنتهـي للانفـراد بجيسـيكا ومـن جديـد حصلـت بينهمـا علاقـة جنسـيّة حميمـة مـرّاتٍ عديـدة. ومهمـا كان الشّـعور بالذنـب الـذي أحـسّ بـه في المـرّةِ الأولى فقـد أصبـح الآن مكبوتـاً، وبـدا الأمـرُ كلُّـه حَسـناً جـداً بطريقـة مختلفـة. فهـو لـم يعـرف يومًـا فتـاةً بهـذا الجمـال ولا شـعر بأشـواق قويّـة كهـذه. وأصبحـت عـادات تنـاول المشروبـات

لديه تشمل الآن المشروبات الكحوليّة القويّة وأصبح يشرب بانتظام مع جيسيكا وأصدقائهما. ولكن، حتّى بعد أن يستهلك قواه بالتمتُّعِ مع جيسيكا ليالي السّبت، كان يحضر بين الحين والآخر الاجتماعات في كنيسة جماعة كاتاليست في أمسيات الأحد. إذ كان ذلك الأمر يمنحه شعورًا أفضل ويعطيه موضوعاً روحياً ليخبر به والديه عندما يتّصلا.

وبحلول شهر تشرين الثاني/نوفمبر، ابتدأ نيك يتّفق أكثر وأكثر مع أفكار الدكتور بيترسون اللاهوتيّة وأصبح يقرأ الكتاب المقدّس بحسٍّ نقديّ أكبر، حتّى عندما كان يحاول الاستلهام من كلامه. فهو لطالما أحبّ الشّعر في المزامير، أمّا في ما يتعلّق بمراعاة أيّ تعليمات أو تحذيرات محدّدة في الكتاب المقدّس، فلم يعد نيك يشعر بالحاجة إلى اعتبار تلك الكلمات بمعناها الحرفيّ. وقد اعترف بتعامله مع الدكتور بيترسون بفظاظة خلال الأسابيع الأولى من الصفّ، والدكتور بيترسون ردّ بدوره على نيك بمعاملته بلطف فأجاب على كلّ أسئلته وهدّأ أيَّ ارتباك موجود

لديه. كما أنّه شجّع نيك في مقدراته الأكاديميّة، حتّى أنّه استضاف نيك وجيسيكا إلى العشاء في منزله ليتمكّن هو والسيّدة بيترسون من التعرّف إليهما بشكل أفضل.

خلال عطلة عيد الميلاد، توقّفت جيسيكا عن الردّ على هاتفها المحمول. وعندما أعادت الاتصال به أخيرًا فقد كان ذلك من أجل كسر قلبه والقول له إنَّ علاقتهما يجب أن تتوقّف. أصيب نيك بالاكتئاب وتعرّض إيمانه المتصدّع إلى ضربة قويّة أخرى.

صلّى نيك: «لماذا يا الله، لماذا؟ كانت الفتاة الأولى التي أحببتها حقًّا. لماذا سمحتَ بحصول هذا الأمر معي؟ إذا كنت حقيقيًا، لماذا تقوم دائمًا بإفساد حياتي؟ هل تستمتع بجعلي بائساً؟!»

كان والدا نيك قلقين بشأن الاكتئاب الذي يعاني منه ولدُهما وسيرَهُ مع الربّ. وقد أصيب والد نيك بالاضطراب بوجه خاصّ عندما وجد نيك يقرأ في كتاب بارت إيرهمان «سوء الاقتباس من يسوع: القصّة وراء من غيّر الكتاب

المقـدّس ولمـاذا». لكـنّ قلـق والـده كان خفيفًـا بالمقارنـة مـع الدّمـوع الـتي مـلأت عيـني والدتـه عندمـا قـال لهـا نيـك: «قـد يكـون الكتـاب المقـدّس حقيقيًـا بالنّسـبة إليـكِ، لكنّـه ليـس حقيقيًـا بالنسـبة إليّ.»

الفصل الرابع

المُجاهِر في اللاأدريّة

بحلـول أواخـر ينايـر، أصبـح نيـك لاأدريّـاً جهـراً، أي شـخصًا لا يعـرف مـا إذا كان الله موجـودًا. مـع أنّـه لـم يكـن بإمكان نيـك الاتفـاق مـع الإلحـاد الصريـح فهـو قد شـعر بأنّ المسـيحيّة خذلتـه. عـلى سـبيل المثـال، كلّمـا سـأل قسِّيسَـه أو والدَيـه أسـئلة عـن الاختلافـات في الكتـاب المقـدّس لـم تكـن لديهـم إجابـات. ولـم يكـن الدكتـور بيترسـون قـادرًا عـلى تقديـم أمثلـة جيّـدة فحسـب، بـل كان لديـه اهتمـام شـخصيّ بنيـك أيضًـا، حـتّى أنّـه كان يدعـوه إلى تنـاول العشـاء في عـدّة

مناسبات. أمّا قسّيس نيك الذي لطالما وعظ عن «الشركة الأخويّة» و«الصدق» فهو لم يتمكّن حتّى من تذكّر اسم نيك .

كانت لدى نيك أسئلة كثيرة. إن كان الله موجودًا حقّاً، فهل كان ليطلب منّا تصديقَ أكذوبةٍ والعيشَ في إيمانٍ أعمى ببساطة؟ كان قسّ الشّبيبة الذي يعرفه نيك يحبّ أن يتكلّم عن مدى عظمة الله. وكان يقول دائماً إنّنا بصفتنا كائنات بشريّة خاطئة، لا يمكننا أن نعرف الكثير من الأمور من تلقاء أنفسنا. فكّر نيك متأمّلاً: إذا كنّا خاطئين لهذه الدرجة وفاسدين في معرفتنا فكيف يمكن لقسّيس الشبيبة لديّ أن يكون متأكّدًا لهذه الدرجة من معرفته؟ كيف يمكنه معرفة أنّ الكتاب المقدّس هو كلام الله؟ وإذا كان الله كليّ القدرة فلماذا لا يُقنع الجميع بأنّ الكتاب المقدّس حقّ؟ لم كلّ هذا اللغط؟

بسبب صداقة الدكتور بيترسون وفعاليّته كمحاور وكفاءته في المسائل الخاصّة بمادّته سجَّلَ نيك اسمَه بحماس في صف النقد النصّي الذي يعطيه الدكتور

بيترسون للفصل الدّراسي في الربيع. وكانت إحدى متطلّبات هذا الصف كتابة ورقة بحثيّة في الإختصاص تتألّف من عشرين صفحة، وقد حمّس ذلك خيال نيك. أراد أن يكتب بحثاً بعنوان «السّرقة الأدبيّة في الكتاب المقدّس: كيف سرقَ الكتاب المقدّس من الأساطير الوثنيّة»، وقد قصد مكتب الدكتور بيترسون ليطلب رأيه. وبينما هو داخل إلى المكتب كاد أن يصطدم برجل إفريقيّ أميركيّ طويل القامة ومفتول العضلات كان قد أطفأ الأنوار لتوّه.

سأله نيك: «هل تعرف ما إذا كان الدكتور بيترسون سيأتي إلى مكتبه اليوم؟»

«في الواقع، سيغيب للأسبوع بكامله. فشقيقته تعاني من مشاكل طبيّة فجائيّة وقد سافر الدكتور بيترسون إلى أوريغون صباح اليوم ولن يعود قبل يوم الاثنين.»

قال نيك: «آه لا، يؤسفني سماع ذلك. آمل ألاّ يكون الأمر خطيرًا جداً.»

أومأ الرجل برأسه وانتظر نيك ليتابع كلامه.

«اسـمي نيـك. أنـا متسـجّل في صـف النقـد النـصّي الدّيـني لهـذا الفصـل الـدراسي وأردتُ التحـدّث مـع الدكتـور بيترسـون عـن البحـث الـذي سـأجريه.»

«يـسرّني الالتقـاء بـك يـا نيـك، أنـا جمـال واشـنطن، المـدرّس المسـاعد الجديـد للدكتـور بيترسـون.»

قـال نيـك: «يـسرّني الالتقـاء بـك. إنتظـر لحظـة، أنـتَ جمـال واشـنطن؟ أي جمـال واشـنطن لاعـب خـطّ الهجـوم السّـابق في نوتـردام؟»

ضحك جمال: «لديك حقّاً ذاكرة جيّدة.»

«هـذا مسـتحيل! أتذكّـر أنّـني اعتـدت عـلى مشـاهدتك عـلى قنـاة «إي أس بي أن الرياضيّـة» عندمـا كنـتُ في المدرسـة المتوسّـطة! لـم أكـن مشـجّعًا لنوتـردام لكنّـك كنـت لاعبًـا مذهـلاً! حزنـت كثـيراً لأجلـك عندمـا خلعـتَ كتفـك.»

قـال جمـال مـع ابتسـامة: «هـذا لطـف منـك. في ذلـك الوقـت أنـا أيضـاً أُصبـت بالإحبـاط الشـديد. بسـبب خطـوة خاطئـة واحـدة ضاعـت أحلامـي في رابطـة كـرة القـدم.

كنتُ أعيش من أجل كرة القدم، ولكن.. أظنّ أنّ الرب استخدم تلك التجربة ليساعدني على التركيز عليه أكثر وعلى إعادة تقييم أولويّاتي.»

فوجئ نيك لمعرفة أنّ المدرّس المساعد للدكتور بيترسون كان نجم كرة قدم سابق. وكان مُحرجًا من الاعتراف بأفكاره إذ لم يكن بإمكانه التصوّر بأنّ لاعب كرة قدم قد حصل على أكثر منحة دراسية مرموقة لطلاّب الدكتوراه في الحرَم الجامعي. ثمّ سأل في محاولة منه لتغيير مجرى تفكيره سريعاً: «إذًا يا جمال، ماذا فعلتَ منذ تخرّجك من نوتردام؟»

«حسنًا، لنرى. أكملتُ شهادة الماجستير لأربع سنوات في كليّة دالاس للاهوت ثمّ عملتُ مع أحد أفضل أساتذتي في النقد النصّي وتكلّمت في مؤتمرات بشكل منتظم. ومؤخّراً أنا أجري دراسات وبحوث في المخطوطات الكتابيّة». توقّف جمال قليلاً ثمّ قال: «أرغب في السّماع عن البحث الذي تجريه يا نيك ولكنّني كنتُ خارجاً لتناول جرعتي الصباحيّة من الكافيين. هل لديك الوقت للانضمام إليّ؟

يمكننـا مناقشـة أفـكارك، وأرغـب في سـماع آرائـك عـن النقـد النـصّي والكتـاب المقـدّس.»

«بـكلّ تأكيـد، هيّـا بنـا!» لـم يسـتطِع نيـك تصديـق ذلك. فهـو عـلى وشـك بـدء محادثـة دينيّـة مـع رجـل كان يُعتـبر في مـا مـضى أفضـل لاعـب هجـوم في كـرة القـدم الجامعيّـة عـلى مسـتوى الأمّـة.

الفصل الخامس

هل استعارت المسيحيّة من الأساطير الوثنيّة؟

انتظر نيك لينتهيَ جمال من احتساء أوّل رشفة من القهوة ثمّ قال: «أفكّر في تسمية بحثي «السّرقة الأدبيّة في الكتاب المقدّس: كيف سرق الكتاب المقدّس من الأساطير الوثنيّة».»

قال جمال: «هذا مثير للاهتمام». أخذ رشفةً أخرى ثمّ قال: «هنالك شيءٌ واحد يثير فضولي. ما هي المصادر الأكاديميّة التي ستذكرها للتوثيق بأنّ الكتاب المقدّس قد سرق من الأساطير الوثنيّة؟»

«ممم... لستُ متأكّداً من ذلك. لم أجد أيّ مصادر بعد لكن أظن أنَّ الأمر لن يكون شديد الصعوبة. قرأتُ عن الموضوع في إحدى روايات دان براون وشاهدتُ فيلماً خاصّاً عنه على القناة التاريخية «هيستوري». كما أنّني شاهدتُ فيديو على يوتيوب عنوانه...»

«تسايت-غايست»، ضحك جمال قليلاً وهو ينهي جملة نيك: «طبعاً هذا الفيديو شعبيّ يا نيك، لاسيما في المساكن الجامعيّة، لكن لو كُنت مكانك لكنتُ أحذر من الإشارة إليه كمرجع في بحث جامعيّ. فشريط الفيديو هذا يُعتبر مزحةً في الأوساط الأكاديميّة. ثمّة عدد قليل من الأساتذة الذين لا يزالون يعتقدون بأنّ المسيحيّة استعارت من الأساطير الوثنيّة، ولم يتمّ نشر أيّ شيء أكاديميّاً حول هذا الموضوع مؤخّراً، ولكن»، أضاف جمال مع ابتسامة خبيثة قليلاً: «إذا تمكّنت من إيجاد وثائق تاريخيّة فسيكون بحثك ممتازاً. حظًّا سعيدًا!»

لم يكن نيك متأكّدًا ممّا يجب قوله: «ما الذي تعنيه؟»

«حسناً، حتّى في أكثر الأوساط المتقدّمة بين الأكاديميّين الدينيّين، كأوساط رابطة آيفي على سبيل المثال، هذه الفكرة التي مفادها أنّ المسيحيّة استعارت من الأساطير الوثنيّة لم تعد شعبيّة أبداً مقارنة بما كانت عليه في ما مضى. كلّ ما نراه الآن هو روايات وفيديوهات على اليوتيوب مع غياب تام للوثائق التاريخيّة. ودُور النشر الأكاديميّة لا تنشر أيّ شيء عن هذا الموضوع بسبب عدم وجود أدنى الأدلّة بكل بساطة.»

سأل نيك: «لا أدلّة؟»

«لقد ألقيتُ محاضرات عن هذا الموضوع يا نيك أمام مجموعات الحرم الجامعي في أنحاء البلاد كلِّها. الطلاّب مذهولون من هذا الموضوع ويُفاجأون طبعاً عندما أقتبسَ الدكتور ج. سميث من موسوعة الأديان، «إنّ فئة الآلهة التي تموت وتقوم من الموت التي اعتبرت في ما سبق موضوعًا كبيرًا ومحطّ تحقيق العلماء، ينبغي ايضاح فهمها اليوم على أنّها كانت إلى حدّ كبير تسمية خاطئة مبنيّة على صياغات خياليّة ونصوص متأخرة جداً

أو في غاية الغموض».»[٧]

تناول نيك قضمة من كعكته بنكهة القهوة.

«دعني أشرح لك بالمزيد من التفصيل. إنّ الدكتور غريغ بويد الحائز على شهادة الدكتوراه من كليّة برينستون للاهوت، والدكتور پول رودز إيدي الحائز على شهادة الدكتوراه من جامعة ماركيت يتّفقان مع سميث. انتظر لحظة وسوف أقرأ لك شيئًا ممّا كتباه.» سحب جمال جهاز كيندل الخاص به ووجد الصفحة المطلوبة.

«حسنًا، ها هي. «لقد شكّك معظم العلماء المعاصرون تحديداً في فئة الآلهة القديمة التي تموت وتقوم من الموت. وبالمختصر المفيد، عندما يجري تحليل كلّ واحدة من تلك الأساطير بالتفصيل يتبيّن أنّه إمّا لم تحصل وفاة فعليّة أو قيامة فعليّة، إما لا يوجد إله فعليّ منذ بادئ الأمر!»»[٨]

٧. جي. زي. سميث. «الآلهة التي تموت وتقوم من الموت»، في موسوعة الأديان، طبعة م. إلياد، المجلّد ٤ (نيويورك: ماكميلان، ١٩٨٧)، ٥٢١. اقتبسها بويد وإيدي، ربّ أم أسطورة؟، ٥٣.

٨. بويد وإيدي، ربّ أم أسطورة؟، ٥٣.

علّق نيك وهو يحتسي قهوته: «هذا مثير للاهتمام.»

تابع جمال: «ومع أنّه في حالات قليلة تمّ ذكر الوفيّات إلاّ أنّه طبعاً لم يتمّ ذكر أيّ قيامة. وأحد أكثر الكتب المشكّكة المعروفة حول هذا الموضوع هي من تأليف تيم كالاهان، محرّر مجلّة «سكيبتيك» ومؤلّف كتاب «المصادر السريّة للكتاب المقدّس»، وعمله يقتصر أكثر على المستوى الشّعبي من على المستوى الأكاديميّ". أغلق جمال جهاز الكيندل وأخرج جهاز حاسوبه. أذكر يا نيك أنّني شاهدت فيديو من حلقات "الإيمان في قلب النيران"[٩] من تقديم لي ستروبل حول هذا الموضوع. دعني أبحث عنه على الانترنت ويمكنك مشاهدته. لا تتخطّى مدّته بضعة دقائق.»

شاهد نيك بينما كان لي ستروبل، خرّيج جامعة ييل وصحفي سابق في جريدة شيكاغو تريبيون، يجري مقابلة

٩. «هل قام يسوع من بين الأموات؟» من موقع لي ستروبل الإلكتروني. تمّت زيارته في ٢٨ آب / أغسطس ٢٠١٠،
http://www.leestrobel.com/videoserver/video.php?clip=strobelT١\١\١٥

مـع تيـم كالاهـان، المحـرّر الدّيـني في مجلّـة سـكيبتيك، والدكتـور غـاري هابرمـاس، رئيـس قسـم الفلسـفة واللاهـوت في جامعـة ليـبرتي والحائـز عـلى شـهادتي دكتـوراه مـن ولايـة ميشـيغان وجامعـة أوكسـفورد:

سـتروبل: يتّفـق كلّ العلمـاء عمليـاً عـلى أنّ يسـوع النـاصري عـاش في القـرن الأوّل وبـشّر عـن ملكـوت الله وصُلـب. ولكـن مـا حصـل بعـد ذلـك هـو أكـثر مسـألة جدليّـة في التاريـخ. هـل قـام يسـوع مـن الأمـوات وأثبـت بالتـالي صحّـة ادّعائـه بأنّـه ابـن الله؟ أو هـل تأتينا تلـك المعلومة مـن الخرافـات والأسـاطير؟ بالنسـبة إلى المسـيحيّين، كلّ شيء يتوقّـف عـلى القيامـة.

دعـني أبـدأ معـك يـا تيـم. أنـت تقـترح في كتابـك أنّ قيامـة يسـوع ليسـت حقيقيّـة عـلى الإطـلاق بـل أنّهـا مجـرّد قصّـة جـرت إعـادة تركيبهـا مـن الأسـاطير السـابقة والأديـان الغامضـة. وتذكـر في كتابـك بشـكل خـاصّ قصـص أوزيريـس وأدونيـس وأتيـس. هـل يمكنـك أن تـشرح لنـا معـنى كلّ ذلـك؟

كالاهـان: حسـناً، كان يوجـد روايـات عن المـوت والقيامة يعود تاريخهـا إلى أيّـام إيزيـس وأوزيريـس كما قلـتَ، ومعروف أنَّـه أصبـح لديونيسـوس في الأسـاطير الإغريقيـة عبادتـه الخاصّـة المنفصلـة. في كلّ تلـك الروايـات يموتـون جميعهـم موتًـا مروّعـاً - فمثـلاً ديونيسـوس يمزّقـه الجبابـرة التيتـان إربـاً ويأكلونـه - ثـمّ يقومـون جسـديًا مـن بـين الأمـوات.

هابرمـاس: دعنـا نأخـذ مثـال أدونيـس، وهـو ربمـا أقـدمُ إلـهٍ لدينـا بشـأنه أوضـح الأمثلـة عـلى قيامتـه مـن الأمـوات. لدينـا أربـع قصـص تخـبر أنّ أدونيـس أُقيـم مـن الموت. يعـود تاريـخ أقـدم واحـدة منهـا إلى القـرن الثـاني ب.م. أمّـا القصـص الأخـرى فيعـود تاريخهـا إلى مـا بـين القرنـين الثـاني والرابـع ب.م. أمّـا أقـدم قصّـة لدينـا عـن أتيـس فيعـود تاريخهـا إلى القـرن الثالـث ب.م. وفي حـين أنَّ ديانـة إيزيـس وأوزيريـس تعـود تاريخيّـاً إلى مـا قبـل المسـيحيّة حتمـاً، لا يوجـد أي قيامـة في إيزيـس وأوزيريـس. وبالتحديـد أوزيريـس لا يُقـام مـن الأمـوات.

ستروبل: حسناً يا تيم، كيف تردّ على ذلك؟

كالاهان: أودّ الإشارة إلى أنّه في غالب الأحيان النُسَخ الوحيدة التي نمتلكها عن الأساطير كِتابةً قد ظهرت في وقت جدٌّ متأخّر، ولكن في غالب الأحيان أيضاً لدينا بعض الأدلّة عن الأساطير في شكل صور على أوانٍ لشخصيات أسطورية مختلفة وسياق الأحداث. لذا فنحن متأكّدين تمامًا من أنّ تلك القصص كانت تُروى شفهيًا قبل ذلك بكثير.

هابرماس: إذا كنّا نتكلّم عن رسومات على الأواني أو غيرها من النقوش فحتّى هناك لا تزال القيامة غير واردة. ليس لدينا أيّ بيانات عن آلهة قائمة من الموت قبل القرن الثاني.

لقد قمت مؤخّرًا بإحصاء ألفاً ومئتين مصدر عن القيامة. كلّ شيء نُشر منذ العام ١٩٧٥ باللغات الألمانيّة والفرنسيّة والانكليزيّة، وعُدتُ إلى تلك المصادر وبحثتُ بينها عن عدد العلماء الذين

يحتلّون مناصب جامعيّة مثلاً، وعدد غير المسيحيّين من بينهم والذين لا يؤمنون بالقيامة، وعدد الذين يقولون من بينهم إنّ الآلهة الغامضة هي بطريقة ما إلهام محتمل للمسيحيّة، وتمكّنتُ من إحصاء عدد المشكّكين على أصابع اليد الواحدة من بين العلماء الألف ومئتين. هذه أقليّة ملفتة.

كالاهان: ليس تماماً. لا أزال أقول إنّه كان يوجد فكرة شائعة عن إله يموت ويقوم من الأموات قبل أيّام يسوع.

ستروبل: حسنًا، هذا ليس ما قاله الدكتور هابرماس.

كالاهان: حسنًا، سيكون علينا أن نتّفق على الاختلاف على ذلك.

ستروبل: لكنّ أحدكما ليس على صواب.

هابرماس: حسناً يا تيم، إذا كنت ستتمسّك بفكرة وجود إله يموت ويقوم قبل يسوع، فأودّ أن أسألك أين الأدلّة؟

كالاهـان: أودّ أن أقـول في بـادئ الأمـر إن أسـطورة ديونيسـوس قـد تسـبق يسـوع زمنيّـاً، ونعـم هـي لا تذكـر الصلب على وجـه التحديـد، ولكـنّي لا أرى أنّ هـذه نقطـة هامّـة جداً. فجميعهـم يتعرّضـون لمـوت شـنيع ومؤلـم للغايـة.

هابرمـاس: سـيكون عليـك أن تعطيـني تاريخـاً لأوّل النقـوش والكتابـات لأنّـه بالنسـبة إلى ديونيسـوس، لا أعـرف أحـداً يظـنّ بـأنّ ديونيسـوس سـابق للمسـيحيّة. أقلّـه بالنسـبة إلى الجـزء المتعلّـق بالقيامـة.

كالاهان: حسناً، آه، كلّ ما يمكنني أن أخبرك به هو أنّ الأسطورة تقـول إنّ الجبابـرة التيتـان مزّقـوه وأكلـوه وأنّـه أُقيـم مـن بـين الأمـوات.

هابرماس: ولكن ما هو التاريخ؟ ما هو التاريخ؟

كالاهـان: لا أعـرف تاريـخ الكتابـة الأصليّـة للكتابـات الـتي بـين أيدينـا. بالنسـبة للأسـاطير، أي الأسـاطير الإغريقيّـة، فـإنّ معظـم مـا لدينـا مـن أسـاطير إغريقيّـة قـد ظهـر في الكتابـات الأثريّـة في وقـت لاحـق، إلاّ أنّنـا نعـرف أنّهـا

رُويَتْ في وقت سابق لأنّ الرّسومات على الأواني تُمثّلها وتُظهر أنها تعود إلى زمنٍ قديم.

هابرماس: لكنّ القصد والسّؤال هو «هل يوجد قيامة؟» وبما أنّه لا يوجد ذكر لأي قيامة قبل القرن الثاني حتّى القرن الرابع حيث تمّ ذكر أوّل حالات قيامة، يمكننا القول إنّه ربّما حصلت حالات قيامة بين القرنين الثاني والرابع ولكن لا يوجد بيانات تذكرُ ذلك. لا يوجد أيّ دليل اطلاقاً على ذلك الموقف.

عندما انتهى الفيديو، شعر نيك بمزيج غريب من المشاعر التي تغتلي في داخله. لقد شعر بالتقدير لرجل متألّق قام بكامل واجبه في مناقشة هجومه على المسيحيّة، وشعر بالانزعاج لاحتمال أن يكون مخطئاً حيال هذا الموضوع.

قطع جمال حبل أفكاره: «إذا ما رأيك يا نيك؟»

«لا أعرف. لم أجرِ أبحاثاً فعليّة عن أيّ من هذه الأمور بعد.»

نظر جمال إلى نيك ليسمح له باستيعاب ما سمعه للتوّ.

تابع نيك: «لكنّي ظننتُ أنّ الدكتور بيترسون ذكر أنّ في الأمر شيئاً من الحقيقة.»

ابتسم جمال حارصاً على اظهار كلّ الاحترام الذي يكنّه للدكتور بيترسون وكذلك كلّ تقديره للمنحة الدراسيّة الكاملة ومركز المدرِّس المساعد اللذين منحهما له الدكتور بيترسون: «أنت محقّ في أنّه ربما ذكر الأمر، لكنّي أشكّ في أنّه ألقى محاضرة مكثّفة عنه لأنّه وببساطة لا توجد أي أدلّة تاريخيّة لإثبات تلك المعتقدات. إنّه مجرّد رأي لديه.»

ابتدأ شعور نيك بعدم الارتياح يزداد. فأمامه شخص لا يشكّك في نظريّة الدكتور بيترسون فحسب، بل بدا قادراً من الناحية الفكريّة على تحدّيها. كان ردّ جمال متعارضاً مع الأجوبة التبسيطيّة التي كان أصدقاؤه المسيحيّون السابقون قد قدّموها له.

وبينما كان يتصارع مع هذه الأفكار، قرّر أن يأتي على

ذكـر اسـم آخـر ورد في فيديـو تسايت-غايسـت. «مـاذا عـن ميـثراس يـا جمـال؟ لقـد سـمعتُ عـن الأسرار الميثرائيّـة أكـثر ممّـا سـمعتُ عـن أيّ مـن الآخريـن، ولـم أسـمع كالاهـان أو هابرمـاس يتحدّثـان عنهـا. هـل كانـت الميثرائيّـة موجـودة؟»

«نعـم، كانـت الميثرائيّـة موجـودة.[١٠] ولكـن هـل دُعـي ميـثراس "ابـن الله" أو "نـور العالـم"؟ لا. لـم أسـمع بـأيّ ادّعـاءات مماثلـة في الأدب الميـثرائيّ. ويقـول العالـم الميـثرائي ريتشـارد غـوردن بشـكل قاطـع إنّـه لـم تحصـل "أي وفـاة أو دفـن أو قيامـة لميـثراس. ولا أيّ منهـا».»[١١]

تابـع جمـال: «السـؤال الأكـبر هـو مَـن أثّـر عـلى مَـن. مـع ظهـور المسـيحيّة عـلى مسـتوى الامبراطوريّـة الرومانيّـة، مـن الواضـح أنّ الديانـات الأخـرى اعتمـدت بعـض تعاليـم المسـيحيّة وممارسـاتها لوقـف موجـة رحيـل الأتبـاع أو ربّمـا

١٠. راجـع جـوش ماكدويـل، شـيفرة دا فينـشي: بحـث عـن الأجوبـة (هوليـداي، فلوريـدا: غريـن كي بوكـس، ٢٠٠٦)، ٣٨.

١١. ريتشـارد غـوردون، الصـورة والقيمـة في العالـم اليونـاني والرومـاني (ألدرشـوت، المملكـة المتّحـدة: فاريـوروم، ١٩٩٦)، ٩٦. اقتبـس منـه ماكدويـل، شـيفرة دا فينـشي، ٣٨.

لجـذب المسـيحيّين إلى طرفهـا.[١٢] يكمـن المفتـاح هنـا في التواريـخ. وفقًـا للأدلّـة المتوفّـرة، لـم تكسـب الميثرائيّـة مكانـةً في الامبراطوريّـة الرومانيّـة حـتّى بعد العـام ١٠٠ ب.م.[١٣] ويؤكّـد م.ج. فيرماسـيرين وهـو اختصـاصيّ في العبـادة الميثرائيّـة، أنّـه لا يوجـد أي تمثـال ميـثرائيّ أقـدم مـن نهايـة القـرن الأوّل ب.م.، وحـتّى التحقيقـات الأوسـع نطاقـاً في بومبـاي المدينـة المدفونـة تحـت رمـاد جبـل فـيزوف منـذ ثورانـه عـام ٧٩ ب.م. لـم تنجـح حـتّى الآن في تأمـين صـورة واحـدة لذلـك الإلـه.»[١٤]

ابتـدأ نيـك يشـعر بصـداع يـضرب رأسـه، فبِمـا تبَّقـى لـه مـن طاقـةٍ شَـكر جمـال عـلى مشـاركته بـكل هـذه الأمـور وغـادر عائـداً إلى غرفتـه الجامعيّـة.

١٢. بـروس م. ميتزغـر، «الأديـان الغامضـة والمسـيحية في مراحلهـا المبكّـرة»، في الدراسـات التاريخيّـة والأدبيـة (ليـدن، هولنـدا: هـ. ج. بريـل، ١٩٦٨)، ١١. اقتبـس منـه ماكدويـل، شـيفرة دا فينـشي، ٣٨.

١٣. بـروس م. ميتزغـر، «الأديـان الغامضـة والمسـيحية في مراحلهـا المبكّـرة»، في الدراسـات التاريخيّـة والأدبيـة (ليـدن، هولنـدا: هـ. ج. بريـل، ١٩٦٨)، ١١. اقتبـس منـه ماكدويـل، شـيفرة دا فينـشي، ٣٨.

١٤. م. ج. فيرماسـيرين، ميـثراس: الإلـه الـسرّي (لنـدن: تشـاتو ووينـدوس، ١٩٦٣). اقتبـس منـه ماكدويـل، شـيفرة دا فينـشي، ٣٨.

لـم يكـن عليـه التفكـير في الكثـير مـن المعلومـات التاريخيّـة الصعبـة فحسـب، بـل قـد ظهـرت اليـوم تحديّـات كبـيرة في مسـيرته اللاأدريّـة أيضـاً. حـين غـادر قطـاره المحطّـة ابتـدأ يترجـرج ويخـرج عـن السـكّة. وهـا قـد أتـت الآن رجرجـة هاتفـه المحمـول، بينمـا يشـدّ نفسـه عـلى المـشي في الحـرم الجامعـي كمـا وأنّهـا تعـزّز ذلـك الشـعور فأخرجتـه مـن تأمّلـه العميـق وقـد فوجـئ أكـثر جـداً بعـد بالرسـالة النصيّـة الـتي قرأهـا. إنّهـا مـن جيسـيكا.

«مرحبـاً يـا نيـك! كنـتُ أتسـاءل مـا إذا كان بإمكاننـا أن نلتقـي. أشـعرُ بالسّـوء بسـبب الطريقـة الـتي عاملتُـك بهـا الشّـهر المـاضي وأنـا حقـاً أفتقـدك.»

الفصل السادس

نزهة على درب كاتي

وافـق نيـك عـلى الالتقاء بجيسـيكا في اليـوم التـالي. وبينما وقـف ينتظرهـا خـارج سـتاربكس في الحـرم الجامعـي، أعادتـه الذكريـات إلى الليلـة الـتي التقيـا فيهـا وأوقـاتِ الضحـك الـتي تشـاركا فيهـا ونقاشـاتِهما المشـوّقة وشـغفهما. عندمـا وصلـت جيسـيكا، ابتسـما كلاهمـا بارتبـاك. وعنـد دخولهمـا إلى المقهـى، رأى نيـك جميـع الطـلاّب الذيـن يدرسـون وشـعر أنّـه قـد يكـون مـن الأفضـل لهمـا التوجّـه إلى مـكان آخـر.

«هـذا المـكان مكتـظّ يـا جيسـيكا،

لنذهب ونمشي على درب كاتي. هل لديك الوقت لذلك؟»

«بالطبع، بامكاننا طلب المشروبات وأخذها معنا.»

كان درب كاتي مكاناً معتاداً بالنسبة إلى جيسيكا ونيك للركض وركوب الدراجة الهوائيّة وعادت إليهما تلقائياً ذكريات الأوقات الممتعة التي أمضياها معاً. بعد مرور أقلّ من خمس دقائق على نزهتهما، استدارت إليه جيسيكا محاولةً كبت دموعها وقالت: «لقد افتقدتك كثيرًا يا نيك. كنتُ على خطأ. لم يكن يجدر بي أن أتركك أبداً.»

بقي نيك صامتاً... فهو لم يتفاجئ كليّاً بما سمعه. راحت الأفكار تتسارع في عقله. هل هي تتلاعب بي؟ هل يجدر بنا أن نعود إلى بعضنا؟ هي تبدو جميلة حقّاً!

سأل أخيراً: «ماذا حصل بينك وبين آلن؟»

«آه لقد كان جدَّ متفاخرٍ بنفسه. تعبتُ من سماعِه وهو يخبرني عن كمال الأجسام الذي يقوم به، وأحداث بطولات المصارعة التي يتابعها. في أحد الأيّام، نظرتُ إلى هاتفه واكتشفتُ أنّه لا يزال يتكلّم مع صديقته السّابقة

بشـكل منتظـم. وربمـا كان لا يـزال ينـام معهـا. يـا لـه مـن حقـير.»

في حـين كان نيـك لا يـزال يتخبّـط في أفـكاره، طـرح عليهـا سـؤالاً صادقًـا: «لمـاذا تركتـني في بـادئ الأمـر؟ هـل ارتكبـتُ أي خطـأ؟ أو منـذ البـدء كنـتِ مهتمّـةً لأمـر آلـن؟»

بـدأت عينـا جيسـيكا تغرورقـان بالدّمـوع مـن جديـد: «لا، لا يتعلّـق الأمـر بـأي شيء قمـتَ بـه، ولا يتعلّـق الأمـر بآلـن.»

لـفّ نيـك ذراعـه حولهـا لكنّـه لـم يقـل شـيئًا. في الحقيقـة لقـد سـاورته الشـكوك حيـال الفكرتـين، فهـي الـتي تركتـه وليـس العكـس. هـل تفتقـدني جيسـيكا حقًـا أو هـل هـي تشـعر بالوحـدة فحسـب؟ توقّـف عـن المـشي ورفـع ذراعـه مـن حولهـا: «يـا جيسـيكا، حاليّـاً لا يمكنـني العـودة إلى الوضع الـذي كنّـا عليـه في السّـابق. أنـا لسـتُ متأكّـداً حـتّى مـن أنّـكِ كنـت حقّـاً تهتمّـين لأمـري أصـلاً.»

أَخـذَت بيـد نيـك وقالـت بينمـا تضغـط عليهـا: «لطالمـا اهتممـتُ لأمـركَ يـا نيـك.»

«لماذا قلتِ لي إذًا إنّه علينا ألا نكون سويّة؟ وماذا عن آلن؟» أفلت نيك يدها: «ربما نحن نهتمّ لأمر بعضنا إلى حدٍّ ما، ولكن ثمّة أموراً أخرى تشغل فكري في هذه الأثناء.»

قالت جيسيكا: «مثل ماذا؟» وبصوتها نوع من التهكّم الذي كان يستاء منه نيك دائماً.

«أنا أتصارع مع بعض المواضيع الروحيّة.»

«آه من فضلك يا نيك! أرجوك لا تقل لي إنّك لا تزال مهووسًا بأمر الكتاب المقدّس. ظننتُ أنّك تخلّيت عن هذا الموضوع!»

عبس نيك وقال: «لقد توقّفت عن الإيمان لفترة لكنّي الآن لستُ متأكّدًا. أظنّ أنّ الحقيقة بالغة الأهميّة.»

«أنت شديد التردّد يا نيك.»

«اسمعي يا جيسيكا، هذا الأمر هامّ بالنسبة إليّ. إذا كنت غير قادرة على فهم ذلك، عليك أن تنسي أمري وتمضي

قدماً بحياتِكِ. أنا أمضي قدماً بحياتي.»

كان طريـق العـودة إلى الحـرم الجامعـي مربـكًا وصامتـاً. وبعـد أن قـام نيـك بإيصال جيسـيكا، كان بحاجـة إلى الاتصال بشـخص مـا قبـل أن يخـرج في وقـتٍ لاحـق تلـك الليلـة.

«مرحبـاً يـا جمـال، أنـا نيـك، أعـرف أنَّ اليـوم الجمعـة وربّمـا لديـك خطـط لقضـاء نهايـة الأسـبوع لكـنّي بحاجـة إلى التكلّـم معـك في وقـت قريـب. أنـا أتصـارع مـع بعـض المسـائل الرُّوحيّـة العميقـة المتعلّقـة بالكتـاب المقـدّس، وأشـعرُ بـأنّ ذلـك يؤثّـر عـلى طريقـة عيـشي. هـل يمكننـا الالتقـاء بـأيّ طريقـة ممكنـة خـلال الأيّـام القليلـة القادمـة؟»

«بـكلّ تأكيـد! لنلتقـي الآن. أنـا في الواقـع جالـس في مقهى كاروث هايڤـن أمـضي بعـض الوقـت مـع صديقـتي مينا.»

«حقًّا؟ لا أريد مقاطعة وقتك مع صديقتك.»

«أبـداً. إنّهـا إنسـانة رائعـة بالفعـل وفيلسـوفة كبـيرة. ربمـا سـتجيب عـلى أسـئلتك بشـكل أفضـل. تعـال لملاقاتنـا، سـنبقى هنـا لسـاعة إضافيّـة.»

الفصل السابع

متى تمّ جمع أسفار الكتاب المقدّس؟

«مرحبًا يا جمال!»

«مرحباً يـا نيـك! أعرّفـك إلى مينـا. لقـد تخرّجَـت حديثـاً بدرجـة امتيـاز مـن جامعـة رايـس وهـي تفكّـر في المجـيء إلى جامعتنـا للدراسـة في كليّـة الحقـوق العـام القـادم.»

«يسرّني الالتقاء بك يا نيك!»

قـال نيـك في نفسـه «هـذا رائـع، يبـدو أنّهـا لطيفـة جـداً.»

بعـد محادثـة بسـيطة عـن كليّـة الحقـوق وولايـة أريزونـا موطـئ رأس مينـا،

غـيّرت مجـرى الحديـث قائلـةً: «ذكـر جمـال أنّكمـا أجريتمـا حديثًـا مثـيرًا للاهتمـام البارحـة عـن الكتـاب المقـدّس.»

ردّ نيـك: «كنـت بالأحـرى أنقـر رأس جمـال بالأسـئلة عـن ورقـة بحـثي لحصّـة نقـد النـصّ الديـني، والآن لسـتُ متأكّـدًا ممّـا يجـب عـليّ فعلـه. كنـتُ أنـوي الكتابـة عـن أنّ الكتـاب المقـدّس ليـس فعـلاً فريـداً مـن نوعـه ولكـن بعـد الاسـتماع إلى جمـال، بـدأتُ أعيـد النظـر بقـراري.»

«هــذا مُلفــت يــا نيــك، مــا الــذي يجعلــك تظــنّ أنّ الكتــاب المقــدّس ليــس فريــداً مــن نوعــه؟»

«حسـنًا، لأنّـني سـمعتُ أنّ قصـة يسـوع ليسـت بجديدة. كلّهـا مسـتعارة مـن الأسـاطير الوثنيّـة وقـد تـم اسـتخدامها في قصـص آلهـة عديـدة في التاريـخ. يسـوع هـو ببسـاطة أحـدث نُسـخة مـن القصّـة. وبالإضافـة إلى ذلـك، فالكتـاب المقـدّس مـليء بالأخطـاء لأنّـه جـرى نسـخُه عـدّةَ مـرّاتٍ عـلى مـرّ السـنوات ومـا مـن طريقـة للتأكّـد مـن صحّتـه إذ أنّنـا لا نملـك الوثائـق الأصليّـة.»

انحنت مينا نحو الأمام قائلةً: «حتّى العلماء والنقّاد الذين لا يوافقون على الدقّة التاريخيّة للكتاب المقدّس يعترفون بأنّه يبقى فريداً من نوعه. يوجد فكرة رئيسية موحّدة ومتشابهة في كامل الكتاب المقدّس مع أنّه كُتب على مدى ألف وخمسمئة سنة، وعلى يد أكثر من أربعين كاتباً.»

أومأ نيك برأسه: «كنتُ أقول لجمال إنّه يوجد الكثير من الكتب والمواقع الإلكترونيّة التي تذكر إنّه لم يوجد يوماً نسخة نهائيّة من الكتاب المقدّس. بعض المؤلّفين يقترحون أنّ قسطنطين هو من خلط الأمور.»

قالت مينا: «لم يكن لقسطنطين علاقة بالأمر. هذه مجرّد أمور من خيال دان براون. لا أعرفُ ما هي المواقع التي تتكلّم عنها ولكن تذكّر أنّ «الحقائق» التي تجدها على المواقع الإلكترونيّة أو في الروايات ليست بالضرورة حقيقيّة. وفيما يختص بالعهد القديم، فإنّ الأدلّة تؤيّد بوضوح أنّ الأسفار الكتابيّة العبريّة كما نعرفها اليوم قد تمَّ جمعُها والاعتراف بها قبل قسطنطين بوقتٍ طويل.

وذلـك عـلى الأرجـح في وقـت مبكّـر يعـود إلى القـرن الرّابـع قبـل الميـلاد، وبالتأكيـد لا يتخطّـى سـنة ١٥٠ قبـل الميـلاد.»

قال نيك: «قبل يسوع؟»

أومـأت مينـا برأسـها: «أجـل، آخـر أسـفار اعـترف بهـا اليهـود عـلى أنّهـا رسـميّة، أي أنّهـا كتبـت عـلى يـد أنبيـاء الله الحقيقيّـون هـي سـفر ملاخـي الذي كُتب بـين حوالى سـنة ٤٥٠ وسـنة ٤٣٠ ق.م. وسـفر أخبـار الأيّـام الـذي كُتـب في العـام ٤٠٠ ق.م. كحـدّ أقـصى.[١٥] وتظهـر هـذه الأسـفار في الترجمـة اليونانيّـة للعهـد القديـم، وهـي تُسـمّى بالترجمـة السـبعينيّة وقـد تمّـت عـلى الأرجـح بـين سـنة ٢٥٠ و١٥٠ ق.م.[١٦] بمعـنى آخـر، لقـد تـمّ جمـع أسـفار العهـد القديـم وترجمتهـا إلى اليونانيّـة ليـس عـلى يـد الفاتيـكان ولا عـلى يـد قسـطنطين

١٥. جـون ف. وافـورد وروي ب. زوك، محـرران، تعليقـات حـول معرفـة الكتـاب المقـدس: العهـد القديـم (ويتـون: فيكتـور بوكـس، ١٩٨٥)، ١٥٧٣.

١٦. نورمـان ل. غيزلـر ووليـام إي. نيكـس، مقدّمـة عامّـة إلى الكتـاب المقـدّس (شـيكاغو: دار مـودي للطباعـة، ١٩٦٨)، ٢٤؛ ديفيـد إويـرت، مقدّمـة عامّـة إلى الكتـاب المقـدّس: مـن الألـواح القديمـة إلى الترجمـات الحديثـة (غرانـد رابيـدس: زوندرفـان، ١٩٨٣)، ١٠٤ - ١٠٨؛ و إي. وورثويـن، نـصّ العهـد القديـم: مقدمـة إلى الكتـاب المقـدّس العـبراني، ترجمـة إرول ف. رودس (غرانـد رابيـدس: إيردمانـز، ١٩٧٩)، ٤٩ - ٥٣.

ولا على يد المسيحيّن الأوائل، ولكن قبل أكثر من مئة سنة من ميلاد يسوع نتيجةً لإجماع أجيال من الأحبار والعلماء اليهود. برأيي هذا أمر جازم.»[١٧]

قال نيك: «انتظري لحظة، كيف تعرفين كلّ هذا؟» وهو يشعر بالقليل من الرّهبة بسبب تعبيرها بطلاقة وخبرتها الطبيعيّة في هذا الموضوع.

قاطعه جمال: «يا نيك، دعني أتباهى بالكلام عن مينا للحظة. لقد فازت بأفضل ورقة بحث في فلسفة الأديان في جامعة رايس كطالبة جامعيّة. كما أنّها تلقّت عروض مِنح دراسيّة لمتابعة أبحاثها من جامعات روتجرز ونيويورك ونوتردام ولكنّها تفكّر في البقاء في دالاس لدراسة الحقوق.»

فسألها نيك: «ولماذا قد تفعلين ذلك، إذا كنتِ فيلسوفة مهمّة؟ لِمَ الحقوق؟»

أجابت مينا: «أظنّ أنّني استنزفت قليلاً. فدراسة

١٧. ماكدويل، شيفرة دا فينشي، ١٥.

الفلسفة التحليليّة والنقاش في الدّين ليسا الأمرين المفضّلين بالنسبة إليّ في الحياة. أنا لستُ متأكّدة من أنّني أريد قضاء الأعوام الخمس القادمة في دراسة الفلسفة. ربما في أحد الأيّام سأنتقل إلى نيويورك وأحصل على شهادة الدكتوراه ولكنّي الآن أفكّر في أن أصبح محاميةً هنا في تكساس.»

لم يتمكّن نيك من نسيان المحادثة التي أجراها في وقت سابق مع أندريا. «يا مينا وجمال، هل أنتما منفتحان لفكرة الالتقاء بصديقتي أندريا؟ لقد كانت كاثوليكيّة، ولكن بعد دراسة كلّ تلك الأمور التي ناقضت كلّ شيء آمنت به في حياتها أصبح لديها أسئلة كثيرة. وأنا شخصيًا لديّ الكثير من الأسئلة ولا أعرف كيف أساعدها على إيجاد الأجوبة.»

قالت مينا «سيكون الالتقاء بها مدعاة سرورٍ بالنسبة إليّ.»

أومأ جمال برأسه: «لم لا نلتقي هنا نحن الأربعة بعد أسبوع من اليوم عند الساعة ١٠ صباحاً؟»

ردّ نيـك: «يبـدو ذلـك رائعـاً يـا جمـال. سـأرى إذا كنـتُ سـأنجح بإقناعهـا بالمجـيء.»

كانـت مينـا تتفحّـص رزنامـة مواعيدهـا. «هـذا جيّـد، أنـا متفرّغـة أيضًـا. لنبقـى عـلى هـذا المواعـد.»

الفصل الثامن

بارت إيرمان وسوء الاقتباس من يسوع

كلّما تكلّم نيك مع مينا وجمال شَعَر باهتمام حقيقيّ لمعرفة ماذا لديهما ليقولاه، لكن بقت أمامه عقبة واحدة عجز عن تخطّيها: «كيف سيكون ردّ الدكتور بيترسون؟ لا بدّ أنّه كان يعرف بمعتقدات جمال عندما وظّفه كمدرِّس مساعد له.»

يوم الاثنين التالي رأى نيك الدكتور بيترسون للمرَّةِ الأولى منذ أسبوع.

قال الدكتور بيترسون: «إنّه لشعور رائع أن أعود إلى الصَّف. شقيقتي مصابة

بـورم وهـي تخضـع لسلسـلة مـن الفحـوص الطبيّـة، فسـافرنا أنـا وزوجـتي إلى أوريغـون لنكـون معهـا. نحـن نأمـل أن تتحسّـن الأمـور. أنـا أقـدّر جميـع صلواتكـم والرسـائل الإلكترونيّـة الـتي أرسـلتموها.»

قـال نيـك في نفسـه متسـائلاً: صلـوات؟ لِمَ يشـكرنا عـلى صلواتنـا إذا كان لا يؤمـن بـالله. هـذا غريـب.

«في صـفِّ اليـوم، أريـد أن أبـدأ بمشـاركتكم ببعـض الملاحظـات في النقـد النَصِّي وهـي قـد تضـع أمـام البعـض منّـا تحديـات بشـأن الطريقـة الـتي تعلّـم فيهـا. لـم يكـن مجـال النقـد النـصّي دائِمـاً بهـذه الشـعبيّة لـدى الجمهـور كمـا هـو الحـال اليـوم. لقـد أعطـاه بـارت إيرمـان المـدرِّس في جامعـة كارولاينـا الشـماليّة في شـابل هيـل، دفعـةً حقيقيّـةً عندمـا نـشر أفضـل الكتـب مبيعـاً بحسـب نيويـورك تايمـز: «سـوء الاقتبـاس مـن يسـوع».»

كان نيـك في الحقيقـة قـد قـرأ ذلـك الكتـاب خـلال العطلـة فشـعر أنّـه قـد تكـون لديـه الأفضليّـة بشـكل خـاصّ

في هذه المناقشة في صفِّه.

تابع بيترسون كلامه قائلاً «في الفصل الأوّل من كتابه، تذكّر بارت ورقة بحث كتبها عند دراسته في الكليّة في برينستون. وقد تناولت عندها قصّة واردة في الفصل الثاني من إنجيل مرقس[١٨] حيث واجه بعضُ الفرّيسيّين يسوع وتلاميذه بغضب لأنّهم كانوا يجتازون حقول الزرع يوم السبت ويقطفون السنابل ويأكلونها. ردّ يسوع على الفرّيسيّين بالتفسير قائلاً: «إنَّ السبت إنّما جُعل لأجل الانسان لا الانسان لأجل السبت». لقد ذكّرَ القادةَ الدينيّين بداود الذي حين جاع مع رجاله دخل الهيكل «في أيّام أبياثار رئيس الكهنة» وأكل خبز التقدمة الذي لا يحلّ أكله إلاّ للكهنة.[١٩] المشكلة المعروفة في هذا المقطع هي أنّه عند قراءة سفر صموئيل الأوّل الذي يقتبس منه يسوع، يتبيّن أنّ داود لم يعش تلك الحادثة حين كان أبياثار رئيس الكهنة، بل في أيّام والد أبياثار أخيمالك.»

١٨. مرقس ٢: ٢٣-٢٨

١٩. راجع إيرمان، سوء الاقتباس من يسوع، ٩.

تابـع الدكتـور بيترسـون: «بعـد أن كتـب بـارت ذلـك البحـث، اقـترح أسـتاذه في برينسـتون التفسـير التـالي «ربمـا بـكلّ بسـاطة ارتكـب مرقـس خطـأً».[٢٠] وفي تلـك اللحظـة بالتحديـد اكتشـف بـارت أنّ الكتـاب المقـدّس ليـس أبـداً معصومـاً عـن الخطـأ بـل يحتـوي عـلى أخطـاء.»

قـرأ نيـك المقطـع الـوارد في إنجيـل مرقـس ثـمّ قـرأ المقطـع الـوارد في سـفر صموئيـل الأوّل. وبـدا أنّ مـا قالـه بيترسـون كان صحيحًـا! «لمـاذا قـال القسّـيس في بلـدتي إنّ الكتـاب المقـدّس هـو كلام الله المعصـوم عـن الخطـأ في حـين أنّـه يحتـوي عـلى أخطـاء مثـل هـذا الخطـأ؟ عـليّ أن أسـأل جمـال عـن هـذه المسـألة.»

دوّن نيـك ملاحظـات عـن عـدّة اختلافـات أخـرى مزعومـة ذكرهـا الدكتـور بيترسـون وتحقّـق مـن كلّ واحـدة منهـا بعناية في كتابـه المقـدّس. في وقـت لاحـق في ذلـك اليـوم، اتّصـل بأندريـا ليسـألها مـا إذا كانـت متفرّغـة للالتقـاء بجمـال ومينـا يـوم الجمعـة. بـدت مـسرورة بدعوتهمـا.

٢٠. المرجع نفسه.

الفصل التاسع

المعصوم من الخطأ

كان جمال ومينا قد وصلا عندما وصل نيك وأندريا. بعد قضاء لحظات قليلة في التعارف، دخل نيك في لبِّ الحديث مباشرةً: «لديّ سؤال آخر يا جمال وآمل أن تتمكّن من مساعدتي فيه.»

«تفضّل.»

«هذا الأسبوع ذكر لنا الدكتور بيترسون عدّة مقاطع من الكتاب المقدّس فيها تناقضات واضحة، لكنّي أذكر أنّ القسّيس في بلدتي كان يقول لنا

إنّ الكتـاب المقـدّس هـو كلام الله المُـنزَّه عـن الخطـأ. هـل تؤمـن بذلـك؟»

ابتسـم جمـال: «هـذا سـؤال جيّـد. في بـادئ الأمـر، أنـا شـخصيّاً أؤمـن أنّ الكلمـات الأصليّـة الـتي سـجّلها بولـس ومرقـس ويوحنـا وغيرهـم مـن كتّـاب الكتـاب المقـدّس هـي بالفعـل كلام الله المُـنزَّه عـن الخطـأ، لكـن لا أؤمـن بـأنّ الله تكلّـم بصـوت مسـموع لـكلّ كاتـب. إنَّ لويـس سـبيري شـايفر مؤسـس كليـة اللاهـوت في دالاس ورئيسـها الأوّل قـد عـبّر عـن هـذه الفكـرة بطريقـة جيّـدة جـدًا: «لقـد كتـب أولئـك الكُتّاب مـن دون انتهـاك لشـخصيّاتهم، كتبـوا بحسـب مشـاعرهم الخاصّـة وقدراتِهـم الأدبيَّـة واهتماماتهـم. ولكـن في النهايـة بقـي بإمـكان الله القـول: «هـذا هـو بالضبـط الـكلام الـذي أردتُ أن تتـم كتابتـه».»[٢١]

سـألت أندريـا: «ولكـن ليـس لدينـا الكلمـات الأصليّـة التي كتبهـا بولـس ومرقـس ويوحنـا والآخـرون، أليـس كذلك؟»

٢١. لي ستروبل، الدفاع عن يسوع الحقيقي (غراند رابيدس: زوندرفان، ٢٠٠٧)، ٧٤.

«في الواقع، ليس لدينا النُسَخ الأصليّة من أي عمل أدبيّ قديم لتلك الدّرَجة. لذلك فإنّ السّؤال الذي يجب طرحه هو هل من المستطاع إستخراج نسخ طبق الأصل بدرجة عالية من الدقّة؟ الجواب على هذا السّؤال هو بكلّ تأكيد: نعم! النسخ القديمة دقيقة للغاية مع أنّه يوجد فروقات بسيطة. من الناحية اللاهوتيّة، أنا أؤمن بأنّ الكتاب المقدّس هو كلمة الله الموحى بها، وشخصياً أؤمن بأنَّه مُنزَّه عن الخطأ على أساس السلطان الذي تمتّع به الرسل والإثباتّ الداخليّ في قلبي على ما قاله يسوع بشأنه. كما وأقبل أنّه يمكن لشخص آخر أن يكون مسيحياً عبر الإيمان بألوهيّة المسيح وقيامته من دون الإيمان بأنَّ الكتاب المقدّس معصوم من الخطأ.»

قالت أندريا: «لكنّ الكتاب المقدّس كتاب بشريّ.»

قالت مينا: «أنتِ محقّة تماماً، فالكتاب المقدّس كتاب بشريّ بخصائصه البشريّة وقد كُتب على يد أربعين كاتباً بشرياً مختلفاً. ولكن في الكُتب، لو كان الكاتب بشرياً

فهذا لا يعني تلقائياً أنَّ الكتاب يحتوي على أخطاء.»

قاطعها نيك: «لا أعتقد أنّ هذا صحيح.»

«حسنًا، انظر إلى هذا». أخذت مينا قطعة من الورق وبدأت تكتب عليها ثمّ سلّمت الورقة إلى نيك الذي قرأها بصوتٍ عالٍ، «٢+٢=٤، ٤+٤=٨، ٨+٨=١٦».

سألت مينا: «أين هي الأخطاء؟»

لم تنتظر أندريا أن يجيب نيك: «لا يوجد أيّ أخطاء هنا لكنّ هذا مثال سيّء لأنّ الكتاب المقدّس ليس كتاب رياضيّات ويوجد أخطاء في عدّة نصوص تسرد القصة نفسها.»

«تذكّري يا أندريا، حين ينادي أحدهم بنزاهة الكتاب عن الخطأ فهذا لا يعني أنّ النسخ التي بحوزتنا اليوم معصومة من الخطأ بل فقط النسخ الأصليّة. ما أحاجج به هو أنّ الله استخدم أشخاصاً بشريّين حقيقيّين بطريقة خارقة للطبيعة، البعض منهم كانوا مثقّفين مثل إشعياء ولوقا وآخرين كانوا أقلّ ثقافة واستخدمهم جميعاً ليكتب

أفكاره الخاصّة، أي كلمته، بهدف التواصل بطريقة يفهمها جميع الناس. إذا كان الله موجودًا ويمكنه صنع المعجزات، ألا توافقون أنّه لو شاء لكان يستطيع أن يقوم بإيصال رسالة من خلال أشخاص عاديّين؟»

قالت أندريا: «لستُ مقتنعةً بذلك.»

سأل جمال: «وأنت يا نيك؟»

«سيكون عليّ التفكير في ذلك.»

قال جمال: «دعاني أسألكما أنتما الاثنين سؤالاً أساسيّاً جداً. هل تؤمنان بأنّ الله موجود حقّاً؟»

الفصل العاشر

الفكر المضادّ للأمور الخارقة للطبيعة

كان نيك الأوّل في الإجابة: «لستُ أكيداً مما تقصده.»

تابع جمال كلامه: «إنَّ الإيمان بالله حقيقة أساسيّة على الجميع التصارع معها. فمنذ البداية وقبل دراسة ما إذا كان الله أوحى بمجموعة من الكتب والرّسائل، ينبغي على المشكّك أن يسأل نفسه ما إذا كان مُنفتحاً لإمكانيّة الإيمان بأنّ الله موجود في حال توفّرت الأدلّة.

إنّ الكثير من أساتذة الكليّات الدينيّة الذين ينكرون حقيقة

حصـول المعجـزات أو أنَّ الله أوحـى بالكتـاب المقـدّس، ينحـازون في الحقيقـة إلى فكـر مضـاد لوجـود العالـم الروحيّ. هـم يدعمـون فلسـفة المذهـب الطبيعـي.»

قال نيك: «هلّا فسّرت.»

«حسـناً. إنّ الشـخص الـذي ينظـر إلى العالـم مـن وجهـة نظـر المذهـب الطبيعـي أو الإلحـاد أو الماديّـة، يؤمـن بـضرورة وجـود تفسـير طبيعـي أو مـادي لـكلّ شيء. إذا لـم يكـن الله موجـوداً فـإنّ المعجـزات غـير موجـودة أيضـاً. ولكـن إذا كانـت وجهـة نظـر المذهـب الطبيعـي خاطئـة وبالتـالي كان الله موجـوداً فعندهـا سـتكون المعجـزات ممكنـة.»

أومأ نيك برأسه: «حسناً، هذا يبدو منطقيّاً.»

«دعـاني أطـرح عليكمـا سـؤالاً. مـا هـي أعظـم معجـزة تـمّ وصفهـا يومـاً؟»

قالت أندريا مقترحةً: «لا أعرف. قيامة المسيح؟»

«إنّ قيامـة المسـيح هـي بـكلّ تأكيـد معجزة عظيمـة ولكن إذا فكّرتمـا جيّـداً بالموضـوع فالمعجـزة الأكـبر هـي الخلـق.

حـين خلـق الله الكـون كلّـه مـن العـدم. حـين أمـر الله بوجـود الوقـت والمـادّة والفضـاء والطاقـة. فـإذا اعتبرنـا أنَّ الله موجـودٌ بالفعـل وهـو قـد خلـق كلّ شيء كمـا نعرفـه، كمجمـوع المـوارد المائيّـة عـلى سـطح الأرض مثـلاً، فـلا مشـكلة بعـد ذلـك في التصديـق بـأنّ الله قـد شـقَّ البحـر الأحمـر أو أنّ يسـوع حـوّل المـاء إلى خمـر أو هـدّأَ البحـر في العاصفـة أو مـشى عـلى الميـاه. إذا كانـت المعجـزة المذكـورة في سـفر التكويـن ١:١ قـد حصلـت، فالمعجـزات الأخـرى سـتصبح ممكنـة وبالبحـث والتدقيـق أظـنّ أنّ بامكاننـا الاكتشـاف أنّ تلـك المعجـزات ليسـت فقـط ممكنـة بـل هـي مدعومـة بأدلّـة تاريخيّـة أيضـاً.»

علّقـت أندريـا: «أنـا ببسـاطة لا أعـرف مـا إذا كنـتُ أؤمـن بحصـول المعجـزات أم لا. أظـنّ أنّ تشـكيك الدكتـور بيترسـون في العهـد الجديـد يسـتند إلى معرفتـه الأكاديميّـة وليـس إلى إيمـان بالسّـحر.»

مـدّ جمـال يـده إلى حقيبـةِ ظهـره وسـحبَ منهـا جهـاز كينـدل الخـاصّ بـه. «لـديّ ملاحظـة جيّـدة مـن الدكتوريـن

بويـد وإيـدي، وهمـا عالمـا لاهـوت ذكـرتُ اسـمَهما لنيـك الأسـبوع المـاضي. همـا يقـولان إنّ الانحيـاز ضـدّ العالـم الروحـيّ في بعـض أوسـاط الدّراسـة العلميّـة للعهـد الجديـد يسـتند إلى افـتراض لا أسـاس لـه. دعـاني أقـرأ لكمـا المقطـع التـالي».

أوّلاً، في حـين أنَّ كلّ شـخص عـصريّ يعتـبر مـن دون شـكّ أنّ العالـم يـدور وفقـاً للقوانـين الطبيعيّة بشـكل عـامّ، مـا هـو الأسـاس الـذي قـد يدفـع أحدهـم ليجـادل بـأنَّ العالـم يقـوم عـلى ذلـك بشـكل كليّ ومطلـق، أي مـن دون وجـود أي اسـتثناءات عـلى الإطـلاق لمـا يُسـمّى بالقوانـين الطبيعيّـة؟ إنّ الرفـض التـامّ للمعجـزات ليـس بالحقيقـة اسـتنتاج يسـتند إلى الأدلّـة أو المنطـق إذ أنّـه لا يمكـن للأدلّـة ولا للمنطـق ضمـان التوصّـل إلى ذلـك الاسـتنتاج المُطلـق. إنّ ذلـك بالأحـرى فرضيّـة أو افـتراض مسـتبق مـن وجهـة نظـر المذهـب الطبيعـيّ. الأمـر واضـح وبسـيط.[٢٢]

٢٢. بويد وإيدي، ربّ أم أسطورة؟، ٢٢-٢٣.

قالـت أندريـا: «ولكـن ثمّـة قوانـين في الطبيعـة لا تقبـل الجـدل أو الدحـض.»

ردّ جمـال: «يتكلَّـم بويـد وإيـدي عـن تلـك المسـألة أيضـاً.»

إنّ التعبير عـن المسـألة بكلمـة «قوانـين» قـد ترك لدى البعـض انطباعـاً بأنّهـا القواعـد وينبغـي عـلى الطبيعـة تنفيذهـا، وهـذا أحـد الأسـباب الـتي تدفـع الكثـير مـن العلمـاء للقـول إنَّ المعجـزات مسـتحيلة... إنّ القانون الطبيعـي هـو وصف لمـا نجـده عامّـةً في العالم وليس تشريعـاً لمـا ينبغـي علينـا أن نجـده في العالـم.[٢٣]

كان إسـتياء نيـك يـزداد شـيئًا فشـيئًا: «اسـمع، أنـا لـم أشـهد يومـاً عـلى حصـول معجـزة! وأنـت؟»

ردّ جمال بهدوء: «لا، أنا لم أشهد ذلك. إنَّ المعجزات

٢٣. المرجع نفسه، ٢٣.

نـادرة الحـدوث. ولكـن مجـرّد أنّـني لـم أشـهد معجـزة يومـاً لا يُبطـل مـن ادّعـاءات الأشـخاص الآخريـن.»

«لكنّـك اعترفت بلسـانك بأنّ المعجزات نـادرة الحدوث.»

«نعـم، هـي نـادرة الحـدوث. فأنـا نفـسي أشـكّك في بعـض الأحيـان عندمـا أسـمع ادّعـاءات عـن حصـول حـالات شـفاء جسـديّ معيّنـة، أو عـن مسـلم سـابق رأى رؤىً عـن يسـوع، وبخاصّـة إذا كان المتكلّـم بالقصّة مفرطـاً في العاطفيّة أو الدراماتيكيّـة. لكـنّ مقصـدي هـو أنّـه لـو كان الأمـر نـادر الحـدوث أو أمـرٌ يحصـل مـرّة واحـدة فقـط فهـذا لا يعـني أنّ علينـا اعتبـاره مسـتحيلاً بشـكل حتمـيّ.»

تكلّمـت أندريـا وقالـت: «يـا مينـا، أشـار ديڤيـد هيـوم إلى أنّـه مـن الحكمـة أن نضـع ثقتنـا في الأحـداث العاديّـة والطبيعيّـة عوضـاً عـن الأحـداث النـادرة الـتي لا تحصـل إلاّ مـرّة واحـدة.»

ابتسـمت مينـا: «أجـل، كان هيـوم من منـاصري المذهب الطبيعـيّ، ولكـن فكّـري في جميـع الأحـداث النـادرة الـتي

نصدّقها والتي حصلت مرّة واحدة. ربما المثال الأفضل على ذلك هو أنتِ، فأنت كيان متميّز ليس له شبيه مماثل في العالم أجمع. إنّ مجرّد وجودك يُعارض مبدأ الأرجحيَّة لأنَّه أمرٌ قد حصل مرّة واحدة، ولكنّني لا زلتُ أصدِّق حدوث ذلك الحدث الفريد. ألا تصدِّقينه؟»

قالت أندريا: «بالطبع.»

سأل نيك ليحاول الإجابة على سؤال أساسيّ ومحدّد يدور في رأسه: «كيف تعرفين حتّى أنّ هذا الإله الذي يُفترض أنّه خلق الكون وأوحى بالكتاب المقدّس موجودٌ فعلياً؟»

تابعت مينا: «يوجد عدّة أسباب تدفعني للاعتقاد بأنّ الإيمان بوجود الله أمر منطقيّ وممكن. على سبيل المثال، إنَّ ضميري يشهدُ على قانونٍ أخلاقيّ أو قواعد من السّلوك الأخلاقيّ نؤمن بها جميعاً. ومثلاً، حول العالم يعتمد الناس مبادئ الحبّ واللطف والشجاعة ومبدأ «افعل للآخرين كما تريدهم أن يفعلوا لك». أنا أعرف

الكثير من الملحدين الذين يؤمنون بهذه المبادئ أيضاً ولكن لا أظنّ أنّ لديهم أي أساس لتفسير سبب وجود هذه القوانين الأخلاقيّة. نحن نعجز أن نفحص بواسطة العلم ما إذا كان أحد التصرّفات محبّاً كليّاً أو غير محبّ، ولكن يمكنُنا أن نرى ثمار الحبّ ولاسيما أعمال المحبَّة ولن يكون لدينا شكّ في حقيقة الحبّ عندما نرى بعض التصرفات الإيجابيّة. ولأنّني أؤمن بوجود قوانين أخلاقيّة موضوعيّة فأنا أؤمن أيضاً بضرورة وجود مشرِّع أخلاقيّ موضوعيّ يتخطّانا ويقدّم المعيار لما هو صحيح وصالح وعادل ومحبّ ومنصف. هذا الكائن هو من أدعوه «الله».»

قال نيك: «حسناً، أنا أفهم وجهة نظرك، قد يكون وجود الله ممكناً ولكن لا تزال لديّ شكوك حول الكتاب المقدّس. كيف نعرف حقاً أنّ الكتاب المقدّس الذي بين أيدينا اليوم هو ما جرى تدوينه؟»

«فقط انتظر لحظة، ثمّة أحدٌ لا يكفّ عن الاتصال بي.» سحب جمال هاتفه ورأى أنَّ الدكتور بيترسون قد حاول الإتصال به مرّات عدَّة.

الفصل الحادي عشر

مساعدة جمال

«مرحباً يا جمال، معك بيل. أنا بحاجة إلى زميل معه منحة للدكتوراه لينهي تعليم اثنين من صفوفي وأرغب في منحك تلك الفرصة. سنقدّم راتباً إضافياً وندفع ستّ ساعات إضافيّة لدراسات الدكتوراه التي تجريها. أعرف أنّني أطلب منك ذلك في اللحظات الأخيرة لكن وصلنا الخبر بأنّ الورم السرطانيّ الذي تعاني منه أختي خبيث وقرّرت أخذ إجازة لقضاء وقت معها. يرى الرئيس روتجرز أنّها فكرة جيّدة وقد أكّدتُ له أنّ صفوفي ستكون في أيدٍ أمينة. حسناً يا

جمـال، نحـن نسـتعدّ لركـوب الطائـرة إلى أوريغـون. أرجـو منـك أن تعيـد الاتصـال بي عندمـا تسـنح لك الفرصـة لذلك.»

بينمـا كان جمـال يصـلّي بصمـتٍ مـن أجـل شـفاء شـقيقة الدّكتـور بيترسـون، شـعر بالـروح القـدس يذكّـره بالإصابـة المدمّـرة الـتي تعـرّض لهـا في نوتـردام قبـل أربـع سـنوات والطريقـة الـتي صـلّى بهـا في ذلـك الوقـت...

يـا أبي السـماوي، أرجـوك أن تشـفي كتفـي. يـا ربّ، أنـتَ قلـتَ أنّـه إذا كان لدينـا إيمـان كحبّـة الخـردل نسـتطيع نقـل الجبـال، ولكنّـني أعـرف أيضًـا أنّـك قلـت «تكفيـك نعمـتي». يـا ربّ، أنـت تعـرف أنّ تقريـر الطبيـب لا يحمـل نتيجـةً جيّدة لكنّـك تتمتّـع بالسـيادة. يـا الله، لقـد عشـتُ في بعـض الأحيان لأمجّـد نفـسي لا لمجـدك أنـت. أنـا أؤمـن بأنّـك تسـتطيع أن تشـفيني، لكنّـك تعـرف مـا هـو الأفضـل. ليتمجّـد اسـمك في كلتـا الحالتـين. إذا فقـدتُ فرصـتي بـأن أُشِـعَّ نـورك في أرض الملعـب هـذه السـنة، أصـلّي أن تفتـح لي أبوابـاً أخـرى لأتمكّـن مـن خدمتـك ونقـل رسـالتك إلى العالـم. آمـين.

لـم يـرد جمـال أن يتأخّـر بإرسـال ردّه فوجـد رقـم الدكتـور بيترسـون وطلبـه.

«آلو؟»

«دكتـور بيترسـون، معـك جمـال. سـترافقك صلـواتي بينمـا تـزور شـقيقتك وسـتكون لمدعـاة فخـر لي أن أسـاعد بتعليـم صفوفـك.»

«شـكراً لـك يـا جمـال. أنـا أقـدّرك وأنـا عـلى يقـين بأنّـك سـتقوم بعمـل ممتـاز. أنـت حائـز عـلى شـهادتي ماجسـتير وأنـت متخصّـص في الأمـور الـتي تعلّمهـا. كلّ مـا عليـك فعلـه هـو التعليـم عـن المخطوطـات القديمـة.»

«أنـت تـدرك أنّ اسـتنتاجاتي بالنسـبة للمخطوطـات تختلـف عـن اسـتنتاجاتك، أليـس كذلـك؟»

«آه أجـل، نظرتـك إنجيليّـةٌ أكـثر وتوافـق نظـرة معلّمـي بـروس ميتزغـر في برينسـتون. لا بـأس بذلـك يـا جمـال، أنـا أثـق بـك. لديـك المنهـاج الـدّراسيّ فكن عـلى طبيعتـك ودرّس الحصـص. لا تـتردّد في الاتصـال بي إذا احتجـت لأيّ شيء.»

«شـكرًا لـك يـا دكتـور بيترسـون. سـأعطي أفضـل مـا عنـدي.»

«سـوف أتحقّـق مـن بريـدي الإلكـتروني كلّ صبـاح، لـذا أرجـو منـك أن تبقـى عـلى اتصـال بي لأتمكّـن مـن مسـاعدتك بحسـب الحاجـة.»

الفصل الثاني عشر

متى كُتب العهد الجديد؟

«صباح الخير يا طلاّب. كما قرأ البعض منكم في رسائله الإلكترونيّة إنَّ الدكتور بيترسون في إجازة لما تبقّى من الفصل الدراسي وطلب منّي أن أنهي تدريس المحاضرات. سوف تبقى واجباتكم في القراءة ومتطلّبات البحث كما هي، وسنكمل القراءة عن مخطوطات الأدب الدّيني القديم. سنتكلّم اليوم مرّةً أخرى عن العهد الجديد». بدأ جمال يقلّب الشرائح في عرض الباوربوينت الموجود أمامه وسحب عدّة صفحات من أوراق قديمة المظهر ليجهزّها قبل البدء بمحاضرته.

«إنّ الأوراق التي أوزّعها عليكم اليوم أيّها الطلاّب هي أجزاء من ورق البردي.»

ألقى نيك نظرة سريعة إلى شريحة عرض الباوربوينت الأولى وكان مكتوباً عليها «متى كُتب العهد الجديد؟»

كان جمال يمشي في الجزء الأمامي من القاعة وهو يشرح: «إنّ الوثائق الأصليّة التي يطلق عليها العلماء تسمية «المخطوطات الأصليّة» لأسفار العهد الجديد والتي هي كتابات متّى ومرقس ولوقا ويوحنا وبولس ويهوذا ويعقوب وبطرس، قد تحلّلت مع مرور الزمن. ولكن لحسن الحظّ، لدينا نسخ كثيرة من المخطوطات وهي قريبة إلى النسخ الأصليّة ومكتوبة باللغة اليونانيّة. وفي القرن العشرين، أكّدت اكتشافات علماء الآثار على دقّة مخطوطات العهد الجديد. إنّ نوع الورق الذي تحملونه هو ما كُتبت عليه النُسَخ الأولى.»

كان الفضول يملأ نيك ليعرف إلى أين ستصل هذه المحاضرة. عرض جمال الشّريحة الثانية وتابع

كلامه: «هذه صورة لمخطوطات جون رايلندز التي يعود تاريخها إلى العام ١٣٠ ب.م. و التي بعدها برديات مكتبة تشستر بيتي التي يعود تاريخها إلى العام ١٥٥ ب.م.، وبرديات بودمر من القرن الثاني التي تعود إلى العام ٢٠٠ ب.م. بسبب وجود عدّة برديّات وبسبب وجود أدلّة نصيّة قويّة داخل هذه الكتابات، تشير البحوث إلى أنّ جميع هذه النصوص قد كُتبت قبل العام ٨٠ ب.م.»

في تلك اللحظة، رفعت فتاة من الصفّ الأمامي يدها: «سيّد واشنطن، ظننتُ أنّ السيّد بيترسون يعتقد أنّ المخطوطات قد كُتبت بعد ذلك بكثير.»

«هل تذكرين التواريخ التي أعطاها؟ وما الأسفار التي كان يتكلّم عنها تحديداً؟»

«كلا.»

«حسنًا، لقد قرأتُ معظم أعمال الدكتور بيترسون. وفي حين أنّه يتفق مع التاريخ المبكّر لكتابات بولس فهو يعتقد أنّ الأناجيل كُتبت في وقت لاحق. ولكنّه لم يكتب

كثيراً من أجل إثبات التأريخ اللاحق.»

قاطعته فتاة أخرى جالسة إلى جانب صديقتها قائلةً: «لماذا علينا أن نصدّق ما تقوله؟»

«هذا سؤال جيّد يا لين. أنا أقدّر سعيك وراء الحقيقة. في الشرائح التالية التي سأعرضها، قمتُ بتوثيق الأدلّة التاريخيّة بأبحاث علماء رائدين. كلّ هذه المعلومات متوفّرة على الانترنت ويمكنكم تنزيلها ودراسة الأدلّة بأنفسكم. دعوني أبدأ بالفكرة التالية في ما يتعلّق بمخطوطات البردي، وهي من الدكتور ميلار بوروز الذي كان لسنوات عدّة أستاذاً في اللاهوت الكتابي في كليّة ييل للاهوت.

> ثمّة نتيجة أخرى لمقارنة اللغة اليونانيّة في العهد الجديد بلغة البرديات (المُكتشفة) وهي زيادة الثقة في النقل الدقيق لنصّ العهد الجديد نفسه.[٢٤]

٢٤. ميلار بوروز، ما معنى هذه الحجارة؟ أهمية علم الآثار بالنسبة إلى الدراسات الكتابية (نيويورك: ميريديان بوكس، ١٩٥٦)، ٥٢. اقتبس منه جوش ماكدويل وشون ماكدويل، نجّار وأعظم، (كارول ستريم، إيلينوي: تيندايل، ٢٠٠٩)، ٦٤.

«سأنتقل إلى الباحث التالي ويليام ف. ألبرايت، الذي اعتُبر عالم الآثار الكتابي الأبرز في العالم.»

> يمكننا بالفعل أن نقول وبشكل قاطع إنّه لم يعد يوجد أساس متين لتأريخ أيّ سفر من أسفار العهد الجديد بعد العام ٨٠ ب.م. وهذا تاريخ يسبق بجيلين كاملين فترة ما بين ١٣٠ و١٥٠ التي يعطيها نقّاد العهد الجديد المتطرّفون في يومنا الحاضر.[٢٥]

فكّر نيك في قلبه. أظنّ أنّ الدكتور بيترسون كان لِيُعتبر «ناقداً متطرّفاً للعهد الجديد» وفقاً لويليام ف. ألبرايت هذا.

تابع جمال «السير الإسكتلنديّ وليام رامزي، الذي هو من أعظم علماء الآثار الذين عاشوا يوماً، كان طالباً في كليّة التاريخ الألمانيّة التي علّمت أنّ سفر أعمال الرّسل يعود لمنتصف القرن الثاني ب.م. وليس للقرن الأوّل كما يبدو.

٢٥. ويليام ف. ألبرايت، الاكتشافات الأخيرة في أراضي الكتاب المقدّس (نيويورك: فونك أند واغنالز، ١٩٥٥)، ١٣٦. اقتبس منه ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٦٥.

بعـد قـراءة أعمـال نقـد معـاصرة لسـفر أعمـال الرسـل، أصبح رامـزي مقتنعـاً بأنّـه سِـفر لا يخـبر حقائـق عـصره (٥٠ ب.م.) بشـكل موثـوق وبالتـالي فهـو غـير جديـر بـأن يدرسـه مـؤرّخ. لذلـك لـم يعـطِ رامـزي الكثـير مـن الاهتمـام للعهـد الجديـد خـلال أبحاثـه حـول تاريـخ آسـيا الصغـرى. غـير أنّ التحقيقـات الـتي أجراهـا ألزمتـه في نهايـة المطـاف بدراسـة كتابـات لوقـا، كاتـب سـفر أعمـال الرُّسـل. وبصفتـه عالـم آثـار، لقـد لاحـظ الدقّـة الشـديدة للتفاصيـل التاريخيّـة وبـدأ موقفـه تجـاه سـفر أعمـال الرُّسـل يتغـيّر تدريجيـاً.[٢٦] وقـد أُجـبِر عـلى الاسـتنتاج بـأنّ «لوقـا مـؤرّخ مـن الطـراز الأوّل... ينبغـي وضـع هـذا المـؤرّخ إلى جانـب أعظـم المؤرّخـين في العالـم».»[٢٧]

رفع نيك يده.

قال جمال: «أجل يا نيك؟»

---

٢٦. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٦٥ -٦٦.

٢٧. السـير وليـام رامـزي، تأثـير الاكتشـافات الحديثـة عـلى موثوقيّـة العهـد الجديـد (لنـدن: هـودر وسـتوفتون، ١٩١٥)، ٢٢٢. اقتبـس منـه ماكدويـل وماكدويـل، نجّـار وأعظـم، ٦٥-٦٦.

«حسـنًا، لـديّ سـؤال. قـد يبـدو سـخيفاً بعـض الـشيء، ولكـن مـا هـي التفاصيـل التاريخيّـة الـتي قـادت السـير وليـام رامـزي إلى الاعتقـاد بـأنّ لوقـا كان "مؤرّخـاً مـن الطـراز الأوّل"؟ لقـد علّـم راعـي كنيسـتي عـن لوقـا طـوال سـنة ولا أذكـر قـطّ أنّـه تحـدّثَ عـن أي شيءٍ يبـدو تاريخيـاً مـن قريـب أو بعيـد. لقـد تكلّـم في المقـام الأوّل عــن علاقتنـا بالمسـيح وعــن أخطـاء الفرّيسـيّين. كيـف نعلـم أنّ كتابـات لوقـا تاريخيّـة؟»

«هـذا ليـس بسـؤال سـيّئ يـا نيـك. فالكثـير مـن الخـدّام المعروفـين كرّسـوا كلّ وقتهـم لتعليـم التطبيـق العمـلي للنـصّ في حيـاة الإنسـان الشـخصيّة لدرجـة إهمـال العنـاصر التاريخيّـة. ولكـن لقـد كتـب الكثـير مـن العلمـاء عـن الدقّـة التاريخيّـة لسـفر أعمـال الرُّسـل. فعـلى سـبيل المثـال، قـام الباحـث والمـؤرّخ الكلاسـيكيّ كولـين هيمـر بتوثيـق أربعـة وثمانـين معلومـة في الفصـول السـتّة عـشر الأخـيرة مـن سـفر أعمـال الرُّسـل وتـمّ إثباتهـا بالبحـوث التاريخيّـة والأثريّـة.[٢٨]

٢٨. كولـين ج. هيمـر، سـفر أعمـال الرسـل في إطـار التاريـخ الهلنسـتي (وينونـا لايـك، إنديانـا: إيسـنبرونس، ١٩٩٠). اقتبـس منـه نورمـان ل. غيزلر وفرانـك توريك، لا أمتلك مـا يكفـي مـن الإيمـان لأكـون ملحـدًا (ويتـون: كروسـواي بوكـس، ٢٠٠٤)، ٢٥٦ - ٦٢.

إذا أمهلتـني لحظـة، سـأبحث عـن قائمـة التفاصيـل الـتي سـجّلها لوقـا بدقّـة".

رفع نيك يده من جديد.

«تفضّل يا نيك.»

«سـيّد واشـنطن، كيـف يُمكـن أن تشـير البيانـات التاريخيّـة الـتي ذكرهـا لوقـا إلى أنّ كتاباتـه قـد تمّـت في فـترة حياتـه؟ فعـادةً مـا يذكـر المؤرّخـون والروائيّـون وثائـق وتفاصيـل جغرافيّـة صحيحـة مـن دون أن يعيشـوا في الفـترة الزَّمنيّـة نفسـها. إنَّ وجـود وثائـق تاريخيّـة صحيحـة لا يثبـت بالـضّرورة مصداقيّـة لوقا».«يـا نيـك، تُثبـت مصداقيّـة لوقـا لأسـباب متعـدّدة. أوّلاً لـم يكـن لـدى لوقـا أي إمكانيّـة للوصـول إلى خرائـط ملاحيـة متقدّمـة أو خرائـط عصريّـة كتلـك الـتي نملكهـا في أيّامنـا الحـاضرة. لـم يكـن بإمكانـه أن يفتـح صفحـة غوغـل عـلى جهـازه الآيفـون للبحـث عـن تلـك المعلومـات. ثانيـاً، في نهايـة سـفر أعمـال الرُّسـل، كان بولـس، أي الشـخصيّة الأساسـيّة في القصّـة، لا يـزال عـلى قيـد الحياة.

لنعتبر أنّنا وجدنا سيرة عن حياة الرئيس جون كينيدي تنتهي فيها القصّة فجأة من دون ذكر موته، فالاحتمال الأكبر هو أنّها قد كُتبت في وقت ما قبل وفاته. الأمر ليس قطعياً لكنّه بالطبع الاحتمال الأكبر. بالإضافة إلى ذلك، لدينا إغناطيوس وبوليكاربوس اللذين اقتبسا من سفر أعمال الرُّسل بين عامي ١٠٧ و١١٠ ب.م. ممّا يشير إلى أنّ كتاب لوقا كان مكتوباً ومنتشراً على نطاق واسع أيضاً قبل ذلك الوقت. دعني أريكم عدّة أمثلة عن الأدلّة الأثريّة التي تؤكّد على عمل لوقا الدَّقيق.»

تجاوز جمال عدّة شرائح في عرض الباوربوينت ثمّ توقّف عند واحدة منها. «في سفر أعمال الرُّسل،[٢٩] يُمثِّل مصطلح «بوليتارك» السّلطات المدنيّة في مدينة تسالونيكي. لسنوات كثيرة، أصرّ الكثير من العلماء والنقّاد الألمان على أنّه لا يوجد أيّ لقب يُسمّى بـ «بوليتارك». وكان السير وليام رامزي الرائد عالمياً في علم الآثار في تلك الحقبة من ذلك الرأي أيضاً، إلى أن اكتشف أنَّه...»

٢٩. أعمال الرسل ١٧: ٦

... تـمَّ العثـور عـلى تسـعة عـشر نقشـاً يذكـر مصطلـح «بوليتـارك». وخمـس مـن تلـك النقـوش تشـير إلى تسـالونيكي.[٣٠]

رفـع جمـال ناظريـه إلى الشاشـة ثـمّ نظـر إلى طلاّبـه: «بعـد التحقيـق في الأدلّـة، درس الدكتـور رامـزي كيـف يمكـن لشـخص قـد كتـب في القـرن الثـاني أن يكـون في تلـك الدرجـات مـن الدقّـة في وصفـه لتفاصيـل معقّـدة ترتبـط بشـكلٍ خـاصّ بالقـرن الأوّل. وجـد السـير رامـزي نفسـه ملزمـاً بالاسـتنتاج بـأنّ سـفر أعمـال الرُّسـل وثيقـة يعـود تاريخهـا إلى القـرن الأوّل، وبالتـالي فهـو مصـدر موثـوق منـه بمـا يختـصّ بتفاصيـل القـرن الأوّل.»[٣١]

انتقـل جمـال إلى شريحـة أخـرى بينمـا تابـع كلامـه: «ثمّـة مصطلـح يونـانيّ آخـر اسـتخدمه لوقـا وقـد شـكّك فيـه النقّـاد

٣٠. ف. ف. بـروس، «التأكيـد الأثـري عـلى العهـد الجديـد»، في الرؤيـة والكتـاب المقـدس، طبعـة كارل هـنري (غرانـد رابيـدس: بيكـر بـوك هـاوس، ١٩٦٩)، ٣٢٥.

٣١. إدوارد موسـغراف بليكلـوك، جـواب العلمـاني: فحـص اللاهـوت الجديـد (لنـدن: هـودر أنـد سـتوفتون، ١٩٦٨)، ٣٦.

وهـو «أزيـارك» أي وُجَهـاء أسـيّا.[٣٢] انظـروا إلى الشاشـة إلى مـا كتبـه لوقـا في أعمـال الرُّسـل ١٩: ٣١.

كَمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَصْدِقَاؤُهُ مِنْ وُجَهَاءِ أَسِيَّا يَرْجُونَ مِنْهُ أَلاَّ يُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِخَطَرِ الذَّهَابِ إِلَى الْمَلْعَبِ.

قـال جمـال: «أيّهـا الطـلاّب، لقـد اكتشـف الدكتـور رامـزي في بحثـه أنّ افتراضاتـه السـابقة كانـت خاطئـة لأنّ مؤلّفـين قدمـاء آخريـن، أمثـال اسـطرابون، تحدّثـوا عـن أولئـك الوجهـاء الذيـن تـمّ اختيارهـم مـن الطبقـة الأغـنى والأكـثر أرسـتقراطيّة في الولايـة. إليكـم مـا جـاء في لوقـا ٣: ١.

وَفِي السَّـنَةِ الْخَامِسَـةَ عَـشْرَةَ مِـنْ ملـك الْقَيْـصَرِ طِيبَارِيُـوسَ؛ حِـينَ كَانَ بِيلاَطُـسُ الْبُنْطِـيُّ حَاكِمـاً عَـلَى منطقـة الْيَهُودِيَّـةِ، وَهِـيرُودُسُ حَاكِـمَ رُبْـعٍ عَـلَى الْجَلِيـلِ وَأَخُـوهُ فِيلِبُّـسُ حَاكِـمَ رُبْـعٍ عَـلَى إِيطُورِيَّـةَ وَإِقْلِيـمِ تَرَاخُونِيتِـسَ، وَلِيسَـانِيُوسُ حَاكِـمَ رُبْـعٍ عَـلَى الأَبِلِيَّـةِ.

٣٢. برايـن ل. جاينـواي «أعمـال الرسـل وعلمـاء الآثـار» في الكتـاب المقـدس والمجرفـة ١٢: ٢ (سـبرينغ ١٩٩٩)، ٥٦.

هنا أيضاً، وبما أنّ السير رامزي كان مشكّكًا، لقد اعتبر أنّ لوقا حتماً لم يكن دقيقاً بما أنّ ليسانيوس الوحيد المعروف سابقاً قد قُتل في العام ٣٦ ق.م. ولكن...

> وُجد نقش يعود تاريخه إلى ما بين العام ١٤ ب.م. و٢٩ ب.م. بالقرب من دمشق يؤكّد على وجود "ليسانيوس حاكم الرُّبع".[٣٣]

«فكّر رامزي في نفسه، «كيف يمكن للوقا أن يكون دقيقاً لتلك الدرجة في تفاصيل كهذه إذا كان يكتب في القرن الثاني؟»

وتمّ الإثبات من جديد أنّ العلماء كانوا على خطأ ولوقا على صواب.»

فكّر نيك في نفسه «عليّ إعادة قراءة أسفار لوقا وأعمال الرُّسل. لم أعرف يوماً بوجود كلّ تلك الحقائق التاريخيّة في ما يقوله.»

٣٣. ف. ف. بروس، التأكيد الأثري على العهد الجديد»، في الرؤية والكتاب المقدس، طبعة كارل هنري، ٣٢١.

عندما انتهى الصفّ، اتّصل نيك بأندريا وقال: «عليكِ أن تسمعي ما الذي علّمه جمال في الصفّ. لم أعرف يومًا بوجود كلّ تلك الأمور التاريخيّة في العهد الجديد".

«يبدو لي يا نيك أنّك بدأت تتفق معه.»

«لست واثقًا من ذلك بعد، ولكن يبدو أنّه خبير في ما يقوله. إنَّ مكتبه مفتوح لاستقبال الطلاب بدون موعد ابتداءاً من الساعة الثانية. لنذهب لمقابلته.»

الفصل الثالث عشر

الاختبار البيبليوغرافي

قال جمال: «نيك وأندريا، تفضّلا أدخلا.»

«شكراً لك، سيّد واشنطن. كنّا...»

«هل بدأت تناديني بالسيّد واشنطن الآن؟»

«عفواً، أنا آسف، جمال. كنتُ أخبر أندريا عن حصّتك، وكنّا نتساءل ما إذا كان لديك بضعة دقائق لتعطينا رأيك بشأن بضعة أمور.»

قال جمال: «بكلّ تأكيد، تفضّلا اجلسا. ما هي أسئلتكما؟»

تكلّمت أندريا أوّلاً: «حسنًا، قال لي نيك إنّك لمّحت إلى أنّ العهد الجديد دقيق من الناحية التاريخيّة. كنتُ أؤمن بذلك ولكن ليس بعد الآن. كيف يمكن لنا أن نعرف بأنّ ما نقرأه في الكتاب المقدّس اليوم هو بالضبط ما كُتب في الأصل؟»

«هذا سهل للغاية. يوجد عدّة اختبارات يلجأ إليها المؤرّخون وأوّلها هو الاختبار البيبليوغرافي.»

سأل نيك: «بيبليوغرافيا بمعنى قائمة المراجع؟»

«كلا، الكلمة هي بيبليوغرافيّ. والاختبار البيبليوغرافيّ هو فحص لطرق نقل النصّ التي بواسطتها وصلت إلينا الوثائق القديمة من الماضي. بمعنى آخر، بما أنّ المخطوطات الأصليّة ليست بحوزتنا نستخدم الاختبار البيبليوغرافيّ للإجابة على أسئلة مثل: ما مدى موثوقيّة النسخ التي بين أيدينا؟ كم مخطوطة تمكَّنت من الصمود؟ ما مدى التناسق بينها؟ ما الفترة الزَمنيّة التي تفصل بين النُسَخ الأصليّة والنُسَخ الموجودة بحوزتنا

اليوم؟»[٣٤]

قالت أندريا: «انتظر لحظة، هل هذا الاختبار البيبليوغرافيّ ينطبق على جميع الأعمال التاريخيّة الأخرى غير الكتاب المقدّس؟»

«بكلّ تأكيد. لنأخذ مثلاً تاريخ انجازات ثوسيديديس الذي عاش من العام ٤٦٠ إلى العام ٤٠٠ ق.م.، ما لدينا من أعماله يأتينا فقط من ثمانية مخطوطات يعود تاريخها إلى العام ٩٠٠ ب.م. تقريباً، أي إلى بعد حوالى ألف وثلاثمئة سنة من تاريخ كتابتها. إنَّ المخطوطات التاريخيّة عن هيرودوت هي أيضاً قليلة وأتتنا بوقت متأخّر. دعاني أقرأ لكما ما كتبه ف.ف. بروس، سابقاً أستاذ رايلاندز في صف النقد والتفسير للكتاب المقدّس في جامعة مانشستر.»[٣٥]

أدار جمال كرسيه وتناول كتاباً عن الرّف. قام بتصفّحه، وبعد أن وجد ما كان يبحث عنه قال: «استمعي إلى ما سأقرأه يا أندريا، هذا ما كتبه ف.ف. بروس»:

٣٤. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٧٠-٧١.

٣٥. راجع ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٧١.

ما من باحث كلاسيكي يقبل أن يستمع إلى محاججة تُشكِّك بمصداقيّة هيرودوت أو ثوسيديديس لأنّ المخطوطات الأولى لأعمالهما التي نستخدمها بكثرة تأتينا بعد أكثر من ١٣٠٠ سنة من تاريخ النُسخ الأصليّة.[٣٦]

سألت أندريا: «ماذا عن تلك الأعمال الكلاسيكيّة المألوفة أكثر بالنّسبة إلينا، مثل أرسطو؟»

«هذا سؤال جيّد. كتب أرسطو فنّ الشّعر الخاصّ به حوالى العام ٣٤٣ ق.م.ـ غير أنّ أبكر نسخة بين أيدينا يعود تاريخها إلى العام ١١٠٠ ب.م.، أي بعد فجوة تبلغ نحو ألف وأربعمئة سنة، ولا يتوفّر لدينا إلاّ مجموعٌ من تسع وأربعون نسخة أو مخطوطة فقط. بالنسبة إلى قيصر، لقد كتب تاريخه عن الحروب الغاليّة بين العامين ٥٨ و٥٠ ق.م. وكلّ سلطة مخطوطاته تستند على تسع أو عشر نسخ فقط ظهرت

٣٦. ف. ف. بروس وثائق العهد الجديد: هل هي موثوقة؟ (داونرز غروف، ايلينوي: إنتيرفارسيتي، ١٩٦٤)، ١٦. اقتبس منه ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٧١.

بعد ألف سنة من وفاته.»[٣٧]

سأل نيك: «يا للهول... كيف تعرف كلّ هذا؟»

«لقد أجريتُ أبحاثاً مكثّفة عن هذا الموضوع. خلال دراستي في الكليّة درّستُ لفصل كامل في مدرسة ثانويَّة كاثوليكيّة خاصّة. وكان عليّ إلقاء المحاضرة نفسها أمام ثلاثة أقسام ولا زلتُ أحفظ معظمها». وقف جمال وتناول كتاباً آخر من عن الرّف: «دعاني أقرأ لكما من كلمات الدكتور بروس متزجر، مؤلّف ومحرّر خمسين كتاباً عن سلطة مخطوطات العهد الجديد بالإضافة إلى غيرها من الأعمال الكلاسيكيّة عن القرن الأوّل. كثيرون يعتبرون أنّه كان أبرز مرجع للمخطوطات في العالم. وبالصدفة كان هو أيضاً معلّم الدكتور بيترسون في برينستون. دعاني أقرأ لكم ما استنتجه الدكتور متزجر»:

انظروا إلى تاسيتوس، المؤرّخ الرّوماني الذي كتب «سجلات الامبراطوريّة الرومانيَّة»

٣٧. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٧١-٧٢.

في حوالى العام ١١٦ ب.م. إنَّ كتبه الستّ الأولى موجودة في يومنا هذا على مخطوطة واحدة، وقد تمّ نسخها نحو العام ٨٥٠ ب.م. أمّا كتابه الحادي عشر ولغاية كتابه السادس عشر فموجودون في مخطوطة ثانية يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر. أمّا كتابه السابع ولغاية كتابه العاشر فمفقودون. توجد إذاً فجوة كبيرة بين التاريخ الذي بحث فيه تاسيتوس عن معلوماته ودوّنها وتاريخ النسخ الوحيدة الموجودة.

في ما يتعلّق بالمؤرّخ يوسيفوس من القرن الأوّل، لدينا تسع مخطوطات يونانيّة عن عمله «الحرب اليهوديّة»، وقد كُتبت تلك النسخ في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر. يوجد ترجمة لاتينيّة لعمله يعود تاريخها إلى القرن الرَّابع ونصوص روسيّة من العصور الوسطى يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر.[٣٨]

٣٨. بروس متزجر، مُقتبس في لي ستروبل، الدفاع عن المسيح (غراند رابيدس: زوندرفان، ١٩٩٨)، ٦٠. اقتبس منه ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٧٢.

رفـع جمـال ناظريـه قبـل أن يتابـع القـراءة: «اسـتمعا الآن بانتبـاه إلى مـا يقولـه بعـد ذلـك.»

إنَّ كميّـة مخطوطـات العهـد الجديـد تـكاد تبـدو محرجـة مقارنـة بأعمـال العصـور القديمـة الأخـرى.[٣٩]

سألت أندريا: «ولماذا هي محرجة؟»

مـال جمـال إلى الأمـام كأنَّـه عـلى وشـك المشـاركة بمعلومـات سريّـة: «يـا أندريـا، بالنسـبة إلى الكتـاب المقدّس، وثّـق العلمـاء أكـثر مـن ٥٦٠٠ نسـخة يونانيّـة فيمـا عـدا الآلاف مـن المخطوطـات اللاتينيّـة. إنّ أحـد أسـاتذتي السـابقين، الدكتـور دانيـال والاس، هـو أحـد الخـبراء الرائديـن في مجـال النقـد النـصّي. كتـاب التدريـس الـذي أصـدره عـن اللغـة اليونانيّـة يُسـتخدم في أغلبيّـة الكليّـات الـتي تـدرّس المسـتوى المتوسِّـط مـن اليونانيّـة، بمـا فيهـا كليّـة ييـل للاهـوت وكليّـة برينسـتون للاهـوت وجامعـة كامبريـدج. وقـد قـال إنّـه حصلـت الكثـير مـن الاكتشـافات الحديثـة، ولقـد تـمّ

٣٩. المرجع نفسه.

اكتشـاف أكـثر مـن مئـتي مخطوطـة كتابيّـة، مـن بينهـا تسـعون للعهـد الجديـد، في سـيناء في العـام ١٩٧٥ عندمـا تـمّ اكتشـاف حُجـرة مخفيّـة في بـرج سـان جـورج. وقـد لاحـظ الدكتـور والاس أنَّ جميـع الاكتشـافات الحديثـة تؤكّـد عـلى أنّ عمليّـة نقـل العهـد الجديـد تمّـت بنقـاء عـالٍ نسـبيّاً وبـأنّ الله حافـظ عـلى النصـوص مـن التلـف. وبالإضافـة إلى المخطوطـات، يوجـد ٥٠,٠٠٠ نـص جـزئيّ مختـومٍ في صناديـق. ويوجـد حـوالى ثلاثـين مخطوطـة مـن العهـد الجديـد تـمَّ ايجادهـا منفصلـة. ويعتقـد والاس وعلمـاء آخـرون أنّـه قـد توجـد مخطوطـات كثـيرة بعـد.»[٤٠]

سـألت أندريـا: «ولمـاذا لـم نسـمع عـن كلّ هـذا الـكلام مـن قبـل؟»

«الكثـير مـن هـذه الاكتشـافات حديثـة جـداً. يمكنـك قـراءة كلّ شيء عـن الموضـوع عـلى صفحـات الانترنـت في «مركـز دراسـات مخطوطـات العهـد الجديـد» الـذي يديـره

٤٠. مراسـلات شـخصية مـن دان والاس، ٦ كانـون الثـاني / ينايـر ٢٠٠٣. اقتبـس منـه ماكدويـل وماكدويـل، نجّـار وأعظـم، ٧٣.

الدكتور والاس. ألقِ نظرةً على موقعه الإلكتروني، www.csntm.org. لقد صادقت عدَّة جامعات رائدة حول العالم على والاس وفريق العلماء التابع له، ومنها جامعة كامبريدج وجامعة ليدز وجامعة سانت أندروز وجامعة إدنبره.

«لقد درَس الدّكتور والاس بنفسه المخطوطات القديمة عبر زيارة الفاتيكان، وجامعة كامبريدج، وجبل سيناء، وإسطنبول، وفلورنسا، وبرلين، ودريسدين، ومونستر، وكولونيا، وبطمس، وأورشليم القدس وهو يشدِّد مؤكِّداً أنّ الاكتشافات الحديثة قد ساعدت في اظهار الأمانة المذهلة للعهد الجديد.»[٤١]

قالت أندريا: «يا جمال، هلّا وضَّحت لي أمراً؟»

«بالطبع.»

سألت أندريا: «أعلم أنّك قد ذكرت الأمر للتو، ولكن كم مخطوطة من العهد الجديد توجد لدينا اليوم؟»

٤١. ستروبل، الدفاع عن يسوع الحقيقي، ٧٠.

«الآلاف. يوجد أكثر من ٥٦٠٠ مخطوطة مفهرسة باللغة اليونانيّة، لكنّ والاس وفريقه يستمرّون بإضافة المزيد على موقعهم الإلكتروني. وإذا لم نقتصر على المخطوطات اليونانيّة بل أخذنا بالاعتبار جميع نسخ الترجمة اللاتينيّة الفولغاتا والترجمات الأخرى، فسيقارب ذلك الرقم الـ ٢٤,٠٠٠ مخطوطة.»

قال نيك: «إذاً، وفقاً لمتزجر ووالاس وعلماء آخرين ثمّة وفرة من مخطوطات الكتاب المقدّس، ولكن في ما يختصُّ بالآخرين أمثال هيرودوت وأرسطو وثوسيديديس فلا يوجد إلاّ نسخ قليلة.»

«هذا صحيح يا نيك.»

لم ينطق أحد منهم بكلمة لعدّة لحظات، ثمّ ابتسم جمال ابتسامةً عريضة. «حسناً، أنتم تسألونني أسئلة منذ لحظة دخولكم إلى مكتبي. والآن حان دوري، ما هو العمل الكلاسيكي الذي يأتي بالدرجة الثانية بعد العهد الجديد من حيث أهميّة عدد المخطوطات؟»

اعترفت أندريا قائلةً: «ليس لديّ أدنى فكرة.»

«نيك؟»

«لا أعرف.»

ردّ جمال: «إلياذة هوميروس. لدينا ٦٤٣ مخطوطة تمّ اكتشافها وفهرستها.»

علّقت أندريا قائلةً: «يبدو هذا منطقياً. أذكر أنّ أفلاطون كتب أنّه كان على جميع الفلاسفة الردّ على هوميروس.»

قال نيك: «انتظر لحظة، هذا لا يعني أنّ كلّ شيء سجّله هوميروس كان صحيحاً، أليس كذلك؟»

«بالطبع لا، فإثبات المخطوطات يخبرنا ببساطة أنّ ما نملكه بين أيدينا اليوم هو ما كُتب في الأصل. فلنعتبر مخطوطات أعمال هوميروس على سبيل المثال، إنَّها تخبرنا أنّه يمكننا أن نكون على يقين بنسبة خمسة وتسعون بالمئة تقريباً من أنّ هذا هو ما كتبه هوميروس

بالفعل. هذا لا يعني أنّ تفاصيل إصابة أخيل في عقبه أو أنّ اختباء الإغريق في حصان طروادة كانت حقيقيّة من الناحية التاريخيّة. يمكن أن يكون هوميروس قد اخترع البعض منها في شعره الفنّي. إنَّ إثبات صحّة المخطوطات لا يصرِّح إلاّ أنّ النسخ التي بين أيدينا اليوم هي قريبة من النسخ الأصليّة.»

قال نيك: «هذا مثير للاهتمام.»

«يا نيك وأندريا، لديّ ملاحظة أخرى من الدكتور كريغ بلومبرغ، وهو زميل سابق في البحوث العليا في جامعة كامبريدج في إنكلترا وحاليّاً أستاذ للعهد الجديد في كليّة دنفر. يفسّر بلومبرغ أنّ نصوص العهد الجديد: «قد حُفظت في أعداد وبعناية أكبر جدّاً من أي وثائق قديمة أخرى». وهو يختم بالقول إنّه بالنصوص المتوفِّرة يمكن إعادة تشكيل ٩٧ إلى ٩٩ بالمئة من العهد الجديد من دون أدنى شكّ».»[٤٢]

٤٢. كريغ ل. بلومبرغ، «الموثوقية التاريخية للعهد الجديد،» في ويليام لاين كريغ، الإيمان المعقول (ويتون: كروسواي، ١٩٩٤)، ٢٢٦. اقتبس منه ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٧٥.

علّقت أندريا: «هذه نسبة عالية جداً، لكنّ بلومبرغ لا يزال يعترف بإمكانيّة وجود أخطاء.»

«لا يعترف بلومبرغ بوجود أخطاء في النسخ الأصليّة، لكن يقول إنّه قد توجد بعض الفروقات في النسخ التي نملكها نحن اليوم. غير أنَّه، وأنا موقن أنّ هذه نقطة حسّاسة، ضمن الفروقات الموجودة في النسخ، ما من نسخة معيّنة تحتوي على فروقات عقائديّة هامّة.»

نظر جمال إلى ساعته: «أنا مسرور بقدومكما إلى مكتبي يا نيك وأندريا. أنا الآن بحاجة إلى ترتيب بعض الأمور من أجل محاضرة الصفّ التالي، ولكنّنا سنغطّي مسألة الاختلافات في الصفّ يوم الأربعاء. بوسعك حضور الصَفّ يا أندريا إذا كان لديك الوقت لذلك.»

قالت أندريا: «شكرًا لك يا جمال.»

أثناء مغادرة المكتب، سأل نيك: «أتظنّين أنّك ستحضرين الصفّ يوم الأربعاء المقبل؟»

«بالطبع. سأمرّ بكم.»

الفصل الرابع عشر

ماذا عن «الأخطاء» الواردة في الكتاب المقدّس؟

بعد يومين من محاضرة جمال الأولى، انتشرت الأخبار بسرعة النار في الهشيم في كليّة الدراسات الدينيّة بأنّ جمال أثبت دقَّة العهد الجديد من الناحية التاريخيّة. الكثير من الأساتذة في الكليَّة كانوا يخالفون جمال الرأي، ولكن لم يبدُ عليهم أنّهم جدّ معنيّون بالأمر لأنَّ معظمهم كانوا يعرفون فكر اللاهوت المحافظ للأساتذة الزائرين من جامعة دالاس وكليّة دالاس للاهوت.

بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ أحد أساتذة الكليَّة السّابقين، الدكتور كلايتون إنغراهام

قـد تسـلَّم صـفّ «المقدّمـة للأديـان» لاسـتبدال الدكتـور بيترسـون. لقـد كان إنغراهـام وبيترسـون مـن أفضـل الأصدقـاء في السـنوات السـابقة وقـد وعـد إنغراهـام بمراقبـة جمـال في غيـاب بيترسـون.

في تلـك الأثنـاء، كان نيـك متحمّسـاً جـداً لمحـاضرة جمـال لدرجـة أنّـه لـم يكتـفِ فقـط بدعـوة أندريـا بـل دعـا أيضـاً مينـا صديقـة جمـال وشـباباً آخريـن مـن طابقـه وكذلـك جيسـيكا في لحظـة تـسرُّع.

عندمـا وصـل نيـك إلى الصـفّ، رأى أندريا ومينا جالسـتين معـاً في الصـفّ الخلفـيّ وجيسـيكا بعـد عـدّة مقاعـد منهمـا. توجّـه نيـك أوّلاً ليتكلّـم مـع الفتيـات الثـلاث ثـمّ توجّـه إلى الجهـة الأماميّـة مـن القاعـة ليخـبر جمـال عـن الـزوّار الذيـن دعاهـم اليـوم. كان الصـفّ أشـبه بقاعـة اجتماعـات مُدرّجـة بسـعة حـوالى مئـة وخمسـين شـخصاً. كان جمـال منشـغلاً في تجهـيز عرضـه الباوربوينـت لكـن عندمـا ألقـى نظـرةً إلى مـكان جلـوس الفتيـات، لاحـظ الدكتـور إنغراهـام جالسـاً في نهايـة الصـفّ شـابكاً ذراعيـه. فرحَّـب بـه محـاولاً رفـع صوتـه فـوق

ضجيج الطلاّب الذين يحاولون إيجاد مقاعدهم: «تسرّني رؤيتك يا دكتور إنغراهام. شكراً لك على الانضمام إلى صفّنا اليوم.»

أجاب الدكتور إنغراهام قائلاً «جمال»، وهو يومئ برأسه من دون ابتسامة. لم يقُل «مرحباً يا جمال» أو «شكراً» بل ببساطة «جمال» كما لو أنّه مغتاظٌ أو يرغب في المحافظة على حدود رسميَّة.

قال جمال: «حسناً أيّها الطلاّب، فلنبدأ. سنبدأ بمراجعة سريعة لما تكلّمنا عنه في المرّة السابقة. في أيّ قرن كُتب العهد الجديد؟ من يذكُر؟ تفضّلي يا لين».

«في القرن الأوّل.»

«هذا صحيح. والآن من خلال الملاحظات التي دوّنتموها من عرض الباوربوينت الذي قدّمته، اعطوني أحد الأدلّة التي قدّمها أستاذ ميلار بوروز من جامعة ييل والتي «تجعلنا نثق في الدقّة التي نُقل فيها نصّ العهد الجديد». تفضّل يا كريغ.»

قال كريغ: «اكتشافات نسخ أوراق البردي.»

ردّ جمال: «هذا صحيح.»

ثـمّ سُـمع صـوت شـخص يكـحّ بشـكل لافـت في الجهـة الخلفيّـة مـن القاعـة، وقـال الدكتـور إنغراهـام بصـوتٍ عالٍ: «عـذراً عـلى المقاطعـة أيّهـا الطـلّاب ولكـن يبـدو أنّ المـدرّس واشـنطن الـذي لـم يحـز بعـد عـلى شـهادة الدكتـوراه، يقوم بتعليـم الأصوليّـة المسـيحيّة بـدلاً مـن تعليـم كيفيَّـة برهنـة الحقائق.»

حـلَّ صمـت مربـكٌ في الصـفّ بينمـا اسـتدار كلّ الطـلاب لـيروا مـن هـو الشـخص المقاطـع. فكّـر جمـال في نفسـه «مـا الـذي يفعلـه كلايتـون بحـقّ السـماء؟»

شـعر نيـك بالقلـق يملأ قلبـه وفكّـر بأنّـه لـم يكـن يجـدر بـه أبـداً دعـوة الأصدقـاء للانضمـام إليه.

تابـع إنغراهـام قائـلاً: «احـرص جيّـداً عـلى إخبـار هـؤلاء الطـلاّب عـن الاختلافـات الـواردة في أوراق الـبردي.»

ردّ جمال بهدوء: «في الواقع يا دكتور إنغراهام، سنتكلّم عن هذا الموضوع بالتحديد اليوم. لم لا تستمع إلى المحاضرة معنا وإذا كانت لا تزال لديك أسئلة ربما يمكننا أن نتكلّم على انفراد بعد المحاضرة.» لم يكن جمال سيقبل بعرقلة مسار محاضرته.

«أيّها الطلّاب، يشير الدكتور إنغراهام إلى الاختلافات التي تمّ العثور عليها في أوراق البردي. ما نسمّيه بالاختلافات النصّية هي الحالات التي نجد فيها كلمات بديلة في مخطوطات العهد الجديد. وفقاً للدكتور بارت إيرمان من شابل هيل، يوجد ما بين ٣٠٠,٠٠٠ إلى ٤٠٠,٠٠٠ اختلاف بين مخطوطات العهد الجديد. علماً أنَّ العهد الجديد الموجود بين أيدينا اليوم باللغة اليونانيّة يحتوي على ١٣٨,٠٠٠ كلمة تقريباً، فإنَّ فكرة وجود اختلافات بنسبة تبلغ ضعفي إلى ثلاثة أضعاف عدد الكلمات تبدو مقلقةً. غير أنّ الحقيقة هي أنّ عدد الاختلافات كبير هكذا كنتيجة مباشرة للأعداد الكبيرة لمخطوطات العهد الجديد المتوفّرة لدينا. كلّما زاد عدد المخطوطات، ارتفع عدد الاختلافات.

وكلّما قلّ عدد المخطوطات، انخفض عدد الاختلافات. لكن هذا لا يفسِّر الصورة بكاملِها إذ عندما ننظر إلى الاختلافات عن كثب، إليكم ما نراه.»[٤٣]

نقر جمال على شريحة باوربوينت أخرى بينما تابع قائلاً: «حتّى الآن، أكبر نسبة من الاختلافات تدخل في فئة الفروقات اللفظيّة. فمثلاً، يمكن لفظ اسم يوحنا بحرف نون واحد أو اثنين. بكل وضوح، إنَّ اختلافاً من هذا النوع لا يضرّ بأي شكل من الأشكال بمعنى النصّ. تمثّل الفروقات اللفظيّة ما يقارب خمساً وسبعون في المئة من جميع الاختلافات.[٤٤] أي ما بين ٢٢٥,٠٠٠ و٣٠٠,٠٠٠ من جميع الاختلافات! ثمّة فئة أخرى فيها اختلافات كثيرة وهي فئة الفروقات في المترادفات بين مخطوطة وأخرى. فمثلاً، قد تشير بعض المخطوطات إلى يسوع باسمه العلم، بينما تستخدم مخطوطات أخرى كلمة «الربّ» أو «هو».

---

٤٣. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٧٦.

٤٤. ج. إد كوموسزيوسكي، م. جيمس سوير، دانيال ب. والاس، إعادة اختراع يسوع (غراند رابيدس: كريجيل، ٢٠٠٦)، ٢١٥. اقتبس منه ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٧٦.

إنّ أمثال هذه الاختلافات بالكاد تضع معنى النصّ موضع تساؤل.»[٤٥]

بدأ نيك يبتسم وهو ينظر حوله في القاعة. ربما لم يكن الدكتور إنغراهام يتوقّع هذا الردّ السّريع والذكي من جمال.

«ألقوا نظرة الآن على شريحة الباوربوينت هذه.» نظر جمال إلى الشاشة من ثمّ تابع قائلاً: «كما يقول الدكتوران نورم غيزلر وفرانك توريك،

> إنّ عمليَّة مقارنة أعداد كبيرة من النسخ والاقتباسات تسمح بإعادة بناء النسخة الأصليّة بدقّة فائقة حتّى وإن تمَّ ارتكاب أخطاء خلال عمليَّة النَّسخ. كيف ذلك؟ فلننظر إلى المثال التّالي. فلنفترض أنّ لدينا أربع مخطوطات مختلفة تحتوي على أربع أخطاء مختلفة في الآية نفسها، مثل الآية الواردة في فيلبي ٤: ١٣

٤٥. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٧٦.

«أستطيع كلّ شيء في المسيح الذي يقوّيني». ها هي النُسَخ الافتراضيّة:

أستطيع كلّ شي# في المسيح الذي يقوّيني

أستطيع كلّ #يء في المسيح الذي يقوّيني

أستطيع كلّ ش#ء في المسيح الذي يقوّيني

أستطيع كل#شيء في المسيح الذي يقوّيني

هل يوجد أيّ لغز في ما قالته النسخة الأصليّة؟ لا يوجد أيّ لغز على الإطلاق. من خلال عمليّة المقارنة والفحص، يمكن إعادة بناء العهد الجديد الأصليّ بدقّة كبيرة.[٤٦]

«بعد دراسة جميع الاختلافات سنجد أنَّ واحداً بالمئة منها فقط يمسّ معنى النصّ. واحد بالمئة! ولكن حتّى هذه النسبة يمكن أن يكون مُبالغ فيها. فعلى سبيل المثال، ثمّة اختلاف حول ما إذا كان ينبغي

٤٦. غيزلر وتوريك، لا أمتلك ما يكفي من الإيمان لأكون ملحدًا، ظد٢٢٨.

ترجمة الآية الواردة في رسالة يوحنا الأولى ١: ٤ على الشكل التالي: «نكتب إليكم هذا لكي يكون فرحُنا كاملاً»، أو «نكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً». ومع أنّ هذا الاختلاف يختص بمعنى المقطع، فهو لا يضرّ بأي شكل من الأشكال بعقيدة مركزيّة في الإيمان المسيحي. لهذا يكتب مؤلّفو كتاب «إعادة اختراع يسوع» في الختام «إنَّ الإجابة المختصرة على سؤال ما هي الحقائق اللاهوتيّة التي تقع على المحك في هذه الاختلافات هي: ولا واحدة.»[٤٧]

٤٧. كوموسزيوسكي، وسوير، ووالاس، إعادة اختراع يسوع، ٢١٥. اقتبس منه ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٧٧.

الفصل الخامس عشر

اختبار الأدلّة الداخليّة

سأل المدرِّس واشنطن: «هل من أسئلة؟»

ألقى نيك نظرة سريعة على الدكتور إنغراهام لكنَّ إنغراهام كان ينظر إلى جمال من دون أي تعبير لا أكثر.

نادى جمال قائلاً: «تفضَّلي يا أندريا.»

«مرحباً... وشكراً. إنَّ مجرّد وجود سلطة كبيرة للمخطوطات بسبب وفرتها لا يعني أنّ كلّ ما كتبه بولس ومتّى ولوقا والآخرين صحيح بالضرورة. لقد ذكرتَ مرَّةً أنّه حتّى وإن كان لدينا

أكثر من ستمئة نسخة من إلياذة هوميروس، فليس علينا تصديق كلَّ ما كتبه، كإصابة أخيل بسهم في عقبه مثلاً أو إختباء الإغريق في حصان طروادة. هل يمكنك الشّرح بمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع؟»

«أنتِ على حقّ يا أندريا. لا يثبت الاختبار البيبليوغرافي إلاّ أنَّ النصّ الموجود بين أيدينا هو ما تمّ تسجيله في الأصل.[٤٨] لهذا السَّبب سوف نناقش الآن النَّقد الداخليّ. لقد ذكرتُ في الحصّة الأخيرة أنّه بامكاننا تصديق التفاصيل التاريخيّة بفضل الأدلّة الداخليّة. كمثالٍ على ذلك، لقد عرضتُ توثيقات عن أربعة وثمانين تفصيلاً تاريخياً تمّ إثباتهم في سفر أعمال الرسل الذي كتبه لوقا إلى ثاوفيلُس.

لقد حضرتُ منذ سنوات ندوةً في فيرجينيا الشماليّة بقيادة جون وارويك مونتغومري الحائز على أكثر من اثني عشر شهادة، بما فيها ثلاث شهادات دكتوراه. لقد كتب ما يلي:

٤٨. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٧٧.

«تستمرّ الثقافة التاريخيّة والأدبيّة في اتباع القول المأثور والعادل لأرسطو بأنّه على النَّاقد إعطاء مهلة تبرير الشكّ للمستند الذي يدرسه لا وضع كامل الثقة بنقده... هذا يعني أنَّ على المرء اعتبار مزاعم المستند قيد التحليل وألاّ يفترض غيباً وجود خداع أو خطأ إلاّ إذا كان المؤلّف يجرّد نفسه من الأهليّة بسبب وجود تناقضات أو حقائق مثبتة غير دقيقة.»[٤٩]

«ليس لديّ الوقت الكافي الآن لمراجعة جميع تفاصيل سفر أعمال الرسل كما فعلتُ المرّة الماضية في الصفّ، ولكن سأذهب قدماً في شرائح الباوربوينت هذه للوصول إلى السفر الأوّل الذي كتبه لوقا والذي لم نغطّيه حتّى. لنقرأ الآيات الأربع الأولى من إنجيل لوقا.

> لأنّ كثيرًا مِنَ النّاسِ أخَذوا يُدَوّنونَ رِوايةَ الأحداثِ التي جَرَت بَينَنا، كما نَقَلَها إلَينا الذينَ كانوا مِنَ البَدءِ شُهودَ عِيانٍ وخدّامًا للكَلِمَةِ، رأيتُ أنا أيضاً

٤٩. جون وارويك مونتغومري، إلى أين يتّجه التاريخ؟ (غراند رابيدز: زوندرفان، ١٩٦٩)، ٤٦. اقتبس منه ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٧٧.

بَعدَما تتَبّعتُ كُلّ شيءٍ مِنْ أُصولِهِ بتَدقيقٍ، أنْ أكتُبَها إليكَ، يا صاحِبَ العِزّةِ ثاوفيلُسُ، حسَبَ تَرتيبِها الصّحيحِ، حتى تَعرِفَ صِحّةَ التّعليمِ الذي تَلَقّيتَهُ. (لوقا ١: ١-٤)

« يا أندريا، يعترف عدّة علماء بدقّة لوقا التاريخيّة. مثالاً على ذلك، يوجد على هذه الشريحة ختام ما قاله الدكتور جون ماكراي، الأستاذ في العهد الجديد وعلم الآثار في كليّة ويتون، عن لوقا، الطبيب والمؤرّخ.

إنَّه خبير وبليغ، ومستواه في اللغة اليونانيّة يضاهي الجودة الكلاسيكيّة ويكتب كرجل مثقّف.تُظهر الاكتشافات في علم الآثار مرّة تلو الأخرى بأنّ لوقا دقيق في ما قاله.[٥٠]

«ثمَّة كتّابٌ آخرون للعهد الجديد زعموا أنّهم أجروا تحقيقاً دقيقاً أو كتبوا شهادات لشهود

٥٠. جون ماكراي، مُقتبس في لي ستروبل، الدفاع عن المسيح، ٩٧.

عيـان. مـن لديـه كتـاب مقـدّس في حوزتـه؟» لـم يجـب أحـد. «هيـا يـا شـباب، الكتـاب المقـدّس نـصّ الزامـيّ في هـذا الصـفّ.»

مـدّ نيـك يـدَه إلى الأسـفل وتنـاول كتابـاً مقدّسـاً صغـيراً أحمـر اللـون مـن حقيبـة ظهـره ولـوَّحَ بـه أمـامَ جمـال.

«حسـناً، هـذا جيّـد، اقـرأ يـا نيـك مـن رسـالة بطـرس الثانيـة ١: ١٦-١٧ وأخبرنـا بمـا يريـد بطـرس أن يقولـه.»

كالعادة بدأ نيك يقرأ بصوتٍ أعلى ممّا كان يريده.

فَنَحْـنُ، عِنْدَمَـا أَخْبَرْنَاكُـمْ بِقُـدْرَةِ رَبِّنَـا يَسُـوعَ الْمَسِـيحِ، وَبِعَوْدَتِـهِ الْمَجِيـدَةِ، لَـمْ نَكُـنْ نَتْقُـلُ عَـنْ أَسَـاطِيرَ مُخْتَلَقَـةٍ بِمَهَـارَةٍ. وَإِنَّمَـا، تَكَلَّمْنَـا بِاعْتِبَارِنَا شُـهُودَ عِيَـانٍ لِعَظَمَةِ الْمَسِـيحِ. فَإِنَّـهُ قَـدْ نَـالَ مِـنَ اللهِ الآبِ كَرَامَـةً وَمَجْـداً، إِذْ جَـاءَهُ مِـنَ الْمَجْـدِ الْفَائِـقِ صَـوْتٌ يَقُـولُ: «هَـذَا هُـوَ ابْـنِي الْحَبِيـبُ الَّـذِي بِـهِ سُرِرْتُ كُلَّ سُرُور.»[٥١]

«شـكراً لـك يـا نيـك. إذاً مـاذا تلاحظـون في النـصّ الـذي قـرأه نيـك للتـوّ؟ أجـل يـا مايـك؟»

٥١. بطرس الثانية ١: ١٦-١٧

قـال مايـك: «يبـدو أنّ بطـرس وجمهـوره كانـوا عـلى علـم بالأسـاطير الـتي كانـت سـائدة لكـنّ بطـرس أراد التميـيز بينهمـا بوضـوح عـبر تقديـم شـهادته كشـاهد عيـان للمسـيح.»

«هذا جيّد. والآن لم لا تقرأ لنا من يوحنا ١٩: ٣٥.»

اسـتعار مايـك كتابـاً مقدّسـاً مـن الفتـاة الجالسـة إلى جانبـه وقـرأ: «الَّـذِي رَأَى هَـذَا هُـوَ يَشْـهَدُ، وَشَـهَادَتُهُ حَـقٌّ وَهُـوَ يَعْلَـمُ تَمَامـاً أَنَّـهُ يَقُـولُ الْحَـقَّ، لِـكَيْ تُؤْمِنُـوا أَنْتُـمْ أَيْضـاً.»[٥٢]

شـكراً يـا مايـك. لنراجـع الآن ما تعلّمنـاه هذا الصبـاح وفي وقـت سـابق هـذا الأسـبوع. أوّلاً، يؤكّـد الاختبـار البيبليوغـرافي عـلى أنّ الكتـاب المقـدّس الـذي نقـرأه اليـوم يمثّـل بدقّـة مـا كُتـب في الأصـل. وثانيـاً، لدينـا اختبـار الأدلّـة الداخليّـة الـذي يكشـف عـن كاتبَـين كتبـا بانفـراد أسـفاراً مختلفـة ويقـولان إنّهمـا شـهدا عـلى الحقيقـة شـخصياً أم بحثـا عنهـا بعنايـة.»

نظـر نيـك إلى الخلـف ولاحـظ أنّ أندريـا وجيسـيكا بدتـا مهتمّتـين. تلاقـت عينـاهُ مـع عيـنَي جيسـيكا فابتسـمت لـه.

٥٢. يوحنا ١٩: ٣٥

ثـمّ تكلّـم الدكتـور إنغراهـام مـن جديـد: «يا سـيّد واشـنطن! يوجـد كتـب دينيّـة شـعبيّة كثـيرة كتبهـا جـوزف سـميث أو محمّـد أو غيرهـم وهـم يزعمـون بأنّهـم شـهود عيـان وبـأنّ الله أوحـى لهـم ولكـنّ هـذا لا يجعـل مـا كتبـوه صحيحـاً.»

الفصل السادس عشر

جوزف سميث ومحمّد والإدّعاءات الأخرى بقول الحقّ

«نعم يا دكتور إنغراهام، لقد ادّعى كثير من الناس بأنّهم شهود عيان، ولكن كما ناقشنا سابقاً فإنّ ما يرويهِ الكتاب المقدّس عن المسيح انتشر خلال حياة معاصريه. كان بامكان هؤلاء الأشخاص الذين تداخلت حياتهم مع جزء من حياته أن يؤكّدوا بشكل قطعيّ على دقّة الأخبار أو إنكارها. وحتّى عندما تواجهَ كاتبو العهد الجديد مع أشدِّ المعارضين اختاروا الدفاع عن الحقائق المعروفة بشأن بيسوع. أيّها الطلّاب، هم لم يكتفوا فقط بالقول

«لقد رأينا هذا» أو «سمعنا ذلك» بل عكسوا الوضع وتكلّموا مباشرةً إلى نقّادهم قائلين: "أنتم أيضاً تعرفون تلك الأمور. أنتم أيضاً رأيتموها. وأنتم بأنفسكم تعرفون عنها". والآن أيّها الطلّاب، هل يعرف أحدكم مقطعاً كتابياً محدَّداً يظهر ذلك؟»[٥٣]

حلّ الصمت في الصفّ.

«حسناً يا مينا، أراكِ تبتسمين. نجد بيننا اليوم بعض الزوّار الحاضرين ومنهم صديقةٌ لي تخرّجت من رايس. وهي كتبت ورقة بحث عن هذا الموضوع بالتحديد وحازت من أجلها على جائزة. لم لا تشاركينا ببعض المقاطع التي تتذكريها يا مينا.»

«طبعاً. في سفر أعمال الرسل ٢: ٢٢، يقول بطرس: «أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ ٱلْإِسْرَائِيلِيُّونَ ٱسْمَعُوا هَذِهِ ٱلْأَقْوَالَ: يَسُوعُ ٱلنَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ ٱللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا ٱللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ

٥٣. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٨٠-٨١.

أَيْضًا تَعْلَمُون...»[٥٤]

تابعت مينا: «وثمّة آية أخرى وهي من الآيات المفضّلة لديّ في سفر أعمال الرسل ٢٦: ٢٤-٢٦. «وَمَا إِنْ وَصَلَ بُولُسُ فِي دِفَاعِهِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، حَتَّى قَاطَعَهُ فَسْتُوسُ قَائِلاً بِصَوْتٍ عَالٍ: «جُنِنْتَ يَابُولُسُ! إِنَّ تَبَحُّرَكَ فِي الْعِلْمِ أَصَابَكَ بِالْجُنُونِ!» فَقَالَ بُولُسُ: «لَسْتُ مَجْنُوناً يَاسُمُوَّ الْحَاكِمِ فَسْتُوسَ، فَأَنَا أَنْطِقُ بِكَلاَمِ الْحَقِّ وَالصَّوَاب. وَالْمَلِكُ الَّذِي أُخَاطِبُهُ الآنَ صَرَاحَةً يَعْرِفُ هَذِهِ الأُمُورَ الَّتِي أَتَحَدَّثُ عَنْهَا، وَأَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّهُ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، لأَنَّهَا لَمْ تَحْدُثْ فِي زَاوِيَةٍ مُظْلِمَةٍ.»[٥٥]

سأل جمال: «هل سمعتم هذا؟ من الأفضل للمرء أن يتوخّى الحذر عندما يقول لمعارضيه: «أنتم تعلمون هذا أيضاً»، لأنّه إن لم يكن يُوجد معرفة مشتركة واتفاق على التفاصيل، فسيُعاد الردّ على ذلك التحدّي مباشرةً.»[٥٦]

---

٥٤. أعمال الرسل ٢: ٢٢

٥٥. أعمال الرسل ٢٦: ٢٤-٢٦

٥٦. ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٨١.

فكّـر نيـك في نفسـه: «هـذه نقطـة جيّـدة. لا بـدّ أنّ الأمـر محـرج للدكتـور إنغراهـام. ولكـن يـا ربّ، الأمـر يحرجـني أكـثر! لقـد تصرّفـتُ مثلـه تمامـاً حـين تكلّمـت مـع والـدَيّ في عيـد الميـلاد.»

تابـع جمـال قائـلاً: "إنَّ ف.ف. بـروس أحـد النافذيـن في الأدب الكتـابي القديـم في جامعـة مانشسـتر، شرح عـن قيمـة المنبـع الأوَّلي للعهـد الجديـد:

«لـم يكـن عـلى المبشّريـن الأوائـل التعامـل مـع شـهود العيـان الوديِّـين فقـط، بـل كان يوجـد آخـرون أقـلّ تعاطفـاً وعـلى درايـة أيضـاً بالحقائق الرئيسيّة عـن خدمة يسـوع وموتـه. لـم يكـن بوسـع الرّسـل المخاطـرة بوجـود معلومـات غـير دقيقـة (أو التلاعـب بالحقائـق بشـكل متعمّـد) لأنَّ الأمـر كان سـيُفضَح عـلى الفـور بواسـطة أولئـك الذيـن كان ليُسرُّهُـم جـداً فعـل ذلـك. لكـن عـلى العكـس، إنّ إحـدى النقاط القويَّة في أوقـات الكرازة الأولى هـي مناشـدة السّـامعين بجـرأة للتفكـير في مـا يعرفونـه، فالـكارزون لـم يكتفـوا بالقـول «نحـن شـهود عـلى هـذه الأمـور»، بـل أضافـوا قائلـين «كمـا أنتـم أيضـاً تعلمـون»

(أعمال الرسل ٢: ٢٢). لو كان هنالك ميل للابتعاد عن الحقائق أو التعارض بأي شكل من الأشكال مع الأطر الصحيحة المعتمدة، لكان الوجود المحتمل للشهود العدائيّين بين الحضور سيكون بمثابة تصحيح إضافي.»[٥٧]

«لذا إذا كان لدينا أدلّة تقترح بأنَّ العهد الجديد الذي نقرأه اليوم هو نسخة أمينة عن الأصل وجديرة بالثقة، وإذا كان لدينا سبب للايمان بأنّ النسخة الأصليّة قد وصفت بشكل دقيق ما قاله يسوع المسيح وأتباعه الأوائل وما فعلوه، فما هي الخيارات المتاحة أمامنا حين نقرأ النصّ الكتابيّ؟» توقّف جمال ونظر حوله في القاعة ثمّ قال: «حسناً أيّها الطلاّب، حان الوقت للختام. هل لدى أحد أيّ سؤال؟»

قال الدكتور إنغراهام: «ليس لديّ أيّ سؤال ولكنّي أرغب في التعليق. من الواضح أنّك أجريت أبحاثاً دقيقة وقدّمت أموراً تستحقّ أن أفكِّر فيها. أعتذر على مقاطعة

٥٧. ف.ف. بروس، وثائق العهد الجديد: هل هي موثوقة؟؟، ٣٣. اقتبس منه ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٨٠-٨١.

محاضرتـك وأعتـذر منكـم أنتـم أيضـاً أيّهـا الطـلاّب فمدرّسـكم قـام بعمـل جيّـد جـداً اليـوم.»

عندمـا أنهـى كلامـه اشـتعل الصـفّ بتصفيـق حـارّ وبـدا أنّ الزّخـم ينتقـل لصالـح جمـال. نظـر نيـك إلى مـكان جلـوس أندريـا وجيسـيكا فابتسـمت لـه الاثنتـان. ومـع أنّـه ردّ لهمـا الابتسـامة خارجيّـاً، كانـت أحشـاؤه تهـتزُّ في داخلـه. فقـد ابتدأ يقتنـع فكريـاً بـأنّ العهـد الجديـد جديـر بالثقـة ودقيـق مـن الناحيـة التاريخيّـة، وإذا كان دقيقـاً فهـو بالتـالي ذو سـلطة... وذلـك يعـني أنَّ عليـه الإعتـذار. عليـه أن يطلـب الغفـران مـن الله وأن يتصالـح مـع المسـيح المُعلـن في العهـد الجديـد.

الفصل السابع عشر

نيك

بعد ساعتين، قبَّلت ركبتا نيك الأرض في غرفته الدراسيّة. «يا الله، أنا آسف جداً، لقد أخطأت في كلّ شيء. لقد عشت في حالة إنكار وهربت منكَ. يا ربّ، أنا أعلم أنّ يسوع المذكور في الكتاب المقدّس هو ابنك. أنا أؤمن بأنَّه مات ليدفع ثمن خطاياي وبأنّه قام من الأموات ليثبت أنّه بلا خطيئة. أرجوك، اغفر لي عدم إيماني. سامحني على الشّهوة والكذب والتفكير فقط في نفسي. أريد أن أحيا بقيّة عمري لك. أشكرك على سماع صلاتي. آمين.

في الأسابيع التالية، طلب نيك الغفران من جيسيكا لأنّه نام معها، الأمر الذي بدا مفاجئاً بالنسبة إليها، واتّصل بوالديه وراعي الشبيبة السابق في كنيسته من أجل تفسير التغيير الذي حصل في حياته. امتلأ قلب راعي الشبيبة بالسرور أمّا أمّه فبدأت تبكي على الهاتف قائلةً إنَّ صلواتها الكثيرة قد استجيبت.

في الحصص العديدة التي تلت، بدا أنَّ نيك وبقيّة الطلاّب يستمتعون بمحاضرات جمال. شعر نيك بأنّه ينمو فكريّاً وبحياة الصلاة أيضاً إذ كان يصلي طالباً الحكمة من الله. وفي ليلة الأربعاء التالية، تلقّى نيك اتّصالاً.

«مرحبًا يا نيك.»

«كيف حالكِ يا جيسيكا؟»

«أنا في أفضل حالاتي! لن تصدّق ما حصل! لقد تناولتُ القهوة مع صديقتك مينا. يا لها من إنسانة طيييبة! بدأنا نتشارك في أحاديث روحيّة رائعة. وبدأتُ أفرح حقّاً بمعرفة كلِّ هذه الأمور. عندما أخبرتني مينا

كيـف أغـاظ يسـوع القـادة الدينيِّـين ومـدَّ يـدَه إلى الفقـراء والمنبوذيـن في المجتمـع، ليتـك تمكَّنـت مـن سـماعها. لقـد تكلَّمـت عـن المـرّة الـتي تحـدّث فيهـا يسـوع مـع امـرأة جـاءت تجلـب المـاء مـن البـئر. كانـت المـرأة سـامريّة، وهـو عِـرق كان ينظـر إليـه الشـعب اليهـودي باحتقـار ولا يتعامـل معـه. كانـت قـد أقامـت علاقـات فاشـلة عديـدة وبسـبب ذلـك كانت منبـوذةً نوعـاً مـا، لكـنّ يسـوع بـدا مهتمـاً كثـيراً بهـا وأعطاهـا الأمـل. في الواقـع، سـألتقي بهمـا مجـدَّداً غـداً صباحـاً عنـد السـاعة التاسـعة وكنـت أتسـاءل مـا إذا كنـت تـودّ أن تـأتي.»

"هما؟ ستلتقين مع من غيرها؟"

«آه صحيـح، آسـفة، لقـد طلبـتُ أيضـاً مـن أندريـا أن تـأتي. هـل يمكنـك المجـيء؟»

«بالطبع، سيكون ذلك رائعاً. أين ستجتمعن؟»

«في مقهى برازيل في لوير غرينفيل.»

تسـاءل نيـك «ما هذا؟ جيسـيكا تُبادر للتحـدّث عن الله؟»

شـعر نيـك بالأمـل والشـكّ يملآنـه في الوقـت نفسـه. مـا زال لا يثـق بهـا بالكامـل، ولكنّـه شـعر بوجـود حمـاس جديـد لـم يشـهده مـن قبـل لـدى جيسـيكا. لقـد تقابَلـت مـع مينـا، مـع أنَّهـا لا تتـلاءم مـع مواصفـات الفتيات السـطحيّات اللـواتي عـادةً مـا يُحِطـنَ بجيسـيكا. ولـم تتوقـف هنـا، بـل ودعـت أيضـاً أندريـا للحضـور! ربمـا ابتـدأ الله يفعـل شـيئاً في حياتهـا.

الفصل الثامن عشر

اختبار الأدلّة الخارجيّة

جلس نيك ومينا في مقهى برازيل يتكلّمان حول صفّ جمال ثمَّ دخلت جيسيكا وأندريا معاً.

سألتهما النادلة: «ماذا يمكنني أن أحضر لكما يا آنسات؟»

قالت أندريا: «سآخذ فنجان قهوة فحسب.»

قالت جيسيكا: «أنا أيضاً.»

«هذا جيّد جداً. يوجد خدمة ذاتية على مشرب القهوة، خذا ما يناسبكما.»

بعد التحدّث لعدّة دقائق، تناول نيك جهازه الكمبيوتر وبدأ يشارك الفتيات بما تعلّمه.

«قبل أن تصلا كنتُ أخبر مينا أنّ جمال دعاني للذَّهاب معه يوم أمس للقاء بعض الأساتذة في كليّة دالاس للاهوت. وبعد ذلك، ذهبنا بالسيّارة إلى فورت وورث والتقينا بأستاذ في جامعة ساوث ويسترن حائز على شهادة من أوكسفورد. لقد تكلّمنا عن أصدقاء الرسول يوحنا وتلاميذه الذين يؤكّدون على الأدلّة الداخليّة التي تظهر في أسفار الأناجيل. أودّ أن أقرأ لكنَّ بضعة أمور.»

وجد نيك الصفحة التي أرادها ثمّ فسّر: «هذا كلام كتبه رجل يُدعى بابياس وهو كان أسقف هيرابوليس في العام ١٣٠ ب.م. والمؤرّخ يوسابيوس يحفظ كتابات بابياس على الشكل الآتي:

كان الشيخ (الرسول يوحنا) يقول هذا أيضاً: «إذ كان مرقس المترجم لبطرس، فهو قد دوّن بدقّة كلّ ما ذكره (بطرس)...هو لم يسمع الرّب شخصياً ولا رافقه

ولكن بعد ذلك، كما ذكرتُ، لقد رافق بطرس الذي قدَّم تعاليماً تتناسب بحسب الحاجة وليس كشخص أراد تجميع أقوال الرَّب. لذلك فإنَّ مرقس لم يخطئ في تدوين بعض الأمور بتلك الطريقة كما ذكرها بطرس، لأنَّ همَّه الأوَّل كان عدم حذف أيّ شيء مما سمعه وعدم إضافة أي بيان خاطئ إلى ذلك.[٥٨]

ثمّ قال نيك مع ابتسامة: «يا آنسات، إنَّ المرجع التّالي هو من إيرينيئوس.»

سألت جيسيكا: «من كان إيرينيئوس؟»

«كان قائداً للكنيسة في القرن الثاني وتلميذاً لبوليكاربوس الذي كان أيضاً بدوره صديقاً مقرّباً للرسول يوحنّا ولأسقف سميرنا. لقد كتب إيرينيئوس عمّا تعلّمه من بوليكاربوس:

لقد نشر متّى إنجيله بين العبرانيّين (أي اليهود) بلغتهم في حين كان بطرس وبولس يبشّران بالإنجيل في روما

٥٨. يوسابيوس، التاريخ الكنسي، الكتاب ٣، الفصل ٣٩. اقتبس منه ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٨٤-٨٥.

ويؤسّسان الكنيسة هناك. وبعد رحيلهما (أي وفاتهما، الذي تمّ بحسب التقاليد السائدة في فترة اضطهاد نيرون في العام ٦٤ ب.م.) قام مرقس الذي كان تلميذ بطرس ومترجمه الخاصّ بنقل جوهر تعاليم بطرس إلينا عبر تدوينها. أمّا لوقا الذي كان يتبع بولس فقد دوّن في سفر كامل كلام الانجيل الذي كان يبشّر به معلّمه. من ثمّ يوحنا تلميذ الربّ الذي اتكأ على صدر يسوع (بالإشارة إلى يوحنا ١٣: ٢٥ و٢١: ٢٠) قام بتدوين إنجيله بنفسه بينما كان يعيش في أفسس في آسيا.[٥٩]

«هنالك المزيد، ولكنّي بحاجة إلى سكب المزيد من القهوة. ما أفضل نكهة؟»

قلبت أندريا عينيها: «فقط أسرع. لديّ سؤال.»

قالت مينا: «خذ وقتك وتذوّق كلّ النكهات يا نيك. سأحاول الإجابة على هذا السؤال. ما سؤالكِ يا أندريا؟»

٥٩. إيرينيئوس، ضدّ الهرطقات، ٣،١،١. اقتبس منه ماكدويل وماكدويل، نجّار وأعظم، ٨٥-٨٦.

«إذا كان هـؤلاء الأشـخاص مـن أصدقـاء يوحنـا، ألـم يكونـوا متحيّزيـن؟»

«هـذا سـؤال ممتـاز. ربمـا كانـوا متحيّزيـن نوعـاً مـا عندمـا كتبـوا هـذا الـكلام. ولكـن، حـتّى وإن لـم يكـن لدينـا شـهادة التلاميـذ الأوائـل وآبـاء الكنيسـة الأوائـل، لا يـزال يمكننـا أن نسـتنتج مـن الكتابـات غـير المسـيحيّة مثـل كتابات يوسـيفوس والتلمـود وتاسـيتس وبلينيـوس الأصغـر أنّ يسـوع كان موجـوداً بالفعـل وكان معلّمـا يهوديـاً. ونحـن نعلـم أنّ كثيريـن آمنـوا بأنّـه قـام بمعجـزات شـفاء وطـرد للشـياطين. كمـا أنّ القـادة اليهـود رفضـوا يسـوع. وتخبرنـا المصـادر غـير المسـيحيّة بأنّـه صُلـب في عهـد بيلاطـس البنطـيّ خـلال حكم تيبيريـوس. ومـع كونـه مـات ميتـة مشـينة، يعـترف النقّـاد بـأنّ تلاميـذه الذيـن آمنـوا بأنّـه حـيّ قـد انتـشروا إلى مـا بعـد فلسـطين إلى درجـة وجـود الكثيريـن منهـم في رومـا بحلـول العـام ٦٤ ب.م. وفي النهايـة، كان جميـع أنـواع النـاس مـن المـدن والأريـاف، رجـالاً ونسـاء، عبيـداً وأحـرار، يقدّمـون العبـادة لـه عـلى أنّـه الله بحلـول بدايـة القـرن الثـاني.»[٦٠]

٦٠. مايـكل ج. ويلكـنز و ج. ب. مورلانـد، محـرّران. يسـوع تحـت النـار: العلـم الحديـث يعيـد اختـراع يسـوع التاريخـي (غرانـد رابيـدس: زوندرفـان، ١٩٩٥)، ٢٢٢.

الفصل التاسع عشر

هل اخترع التلاميذ ذلك؟

عـاد نيـك ليجلـس بينمـا كانـت مينـا تسـتفيض في روايـة الحقائـق مـن مصـادر خارجيّـة: «أتعرفـون مـا أحبّـه في هـذا المـكان؟ يوجـد الكثـير مـن النكهـات ليختـار المـرء مـن بينهـا. مـا الـذي فاتـني إذاً؟»

ابتسـمت جيسـيكا: «كانـت مينـا تُخـبر أندريـا أنَّـه مـن المسـتبعد أن يكـون كُتَّـاب الأناجيـل الأوائـل يكذبـون، بمـا أنّ المؤرّخـين غـير المسـيحيّين يخبروننـا بالأمـور نفسـها.»

ردّ نيـك عـلى الفـور: «كنـتُ أظـنّ أنَّ

التلاميـذ كانـوا يخلطـون بـين التفاصيـل عـن قصـد بسـبب انحيازهـم. ولكنّـني فكّـرتُ في الأمـر ملياً. لمـاذا قـد يكذبـون؟ لنفـترض أنّهـم اخترعـوا القيامـة، مـا كان دافعهـم وراء ذلـك؟ مـا الـذي حصلـوا عليـه بفضـل ذلـك الادّعـاء؟ سـأقول لكـم مـا الـذي حصلـوا عليـه. حصلـوا عـلى سـوء الفهـم والرّفـض والاضطهـاد والتعذيـب والاستشـهاد. مـن الصعـب أن تُعـدّ هـذه قائمـة بالجوائـز!»[٦١]

قالت جيسيكا: «هذه نقطة جيّدة جداً.»

فكّـر نيـك في نفسـه: «هـذه نقطـة جيّـدة جـداً؟ يبـدو أنَّهـا مهتمّـة بالموضـوع بالفعـل.»

«قـدَّم لي الأسـتاذ الـذي التقينـا بـه مـن كليّـة اللاهـوت في دالاس اقتباسـاً مـن كتـابٍ لتشـاك كولسـون، الـذي كان المسـاعد السـابق للرئيـس نيكسـون. دخـل كولسـون السّـجن بسـبب فضيحـة «ووترغيـت». وحـول المقارنـة بـين التجربـة الـتي عاشـها وتجربـة التلاميـذ، لقـد كتـب:

٦١. مأخـوذ مـن بيـتر كريفـت، مُقتبـس في غيزلـر وتوريـك، لا أمتلـك مـا يكفـي مـن الإيمـان لأكـون ملحـدًا.

أظهرت فضيحة "ووترغيت" عن وجود مؤامرة تغطية قد ارتكبها أقرب مساعدي رئيس الولايات المتّحدة... الذين كانوا يكنّون أشدّ الولاء لرئيسهم. لكنّ واحداً منهم، جون دين... شهد ضدّ الرئيس نيكسون، بحسب كلماته الحرفيّة "لكي ينفد بريشه"، وقد فعل ذلك بعد أسبوعين فقط من إعلام الرئيس بما كان يحصل فعليّاً - مجرّد أسبوعين! لم يمكن المحافظة على تغطية الحقيقة والأكذوبة إلا لمدّة أسبوعين فقط، من ثمّ تسارعَ الجميعُ للإفشاء بالأمر وانقاذ أنفسهم. والحقيقة هي أنّ جميع الأشخاص الذين أحاطوا بالرئيس كانوا معرّضين للإحراج، وربما إلى دخول السجن، لكن لم تكن حياة أيّ منهم معرّضة للخطر. ولكن ماذا عن التلاميذ؟ اثني عشر رجلاً ضعيفًا، مجرّد فلاّحين، لم يكونوا يواجهون الإحراج أو العار السياسي فحسب، بل أيضاً الضرب والرّجم والإعدام. وكلّ واحد من التلاميذ أصرّ، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، على أنّه رأى يسوع مقاماً جسدياً من

بـين الأمـوات. ألا تظنّـون أنّ أحـد هـؤلاء التلاميـذ كان ليضعـف ويعـترف قبـل أن يُقطـع رأسُـه أو يُرجـم؟ ... لكـن لـم يضعـف أيّ واحـد منهـم.[٦٢]

سـألت جيسـيكا: «إذاً جميعهـم قُتلـوا مـن أجـل إيمانهـم إلاّ واحـد؟»

«لـم يُقتلـوا مـن أجـل إيمانهـم فحسـب. فالكثـير مـن النـاس يموتـون مـن أجـل إيمانهـم. هـؤلاء التلاميـذ ماتـوا مـن أجـل مـا رأوه بعينيهـم.»

علّقت أندريا: «ربّما كانوا فقط مضلّلين جداً.»

ردّ نيـك مبـاشرةً: «هـل تمزحـين؟ لـو أنّ ادّعاءهـم بأنّهـم شـهود عيـان عـلى عـودة رجـل ميـت إلى الحيـاة كان مجـرّد اخـتراع، لكانـوا اعترفـوا بالحقيقـة في ذلـك الوقـت. عـلى الأقلّ لـكان قلّـة منهـم تراجعـوا لإنقـاذ حياتهـم. لكـنَّ ذلـك لـم يحصـل أبـداً. بـل رُجـم يعقـوب حـتّى المـوت وعُلّـق بطـرس

٦٢. تشـاك كولسـون، مُقتبـس في غيزلـر وتوريـك، لا أمتلـك مـا يكفـي مـن الإيمـان لأكـون ملحـدًا، ٢٩٢-٩٣.

على الصليب وبولس قُطع رأسه.»

قالت أندريا: «أنا ببساطة لستُ مقتنعةً بذلك.»

سأل نيك: «ولم لا؟»

قالت أندريا: «أنا أشكّك في ذلك فحسب.»

قال نيك: «للتشكيك حدود أحياناً يا أندريا. ما أعنيه هو أنّني مسرور بأنّك لا تريدين اعتماد إيمانٍ أعمى، ولكن يمكن أيضاً أن يتخطّى التشكيك حدّه، أتعلمين ذلك؟ ماذا لو شكّكتِ دائماً في كلّ شيء، مثلاً في دليل الملاحة في سيّارتك، أو في كلّ ما تتعلّمينه في جميع حصصك الأخرى؟ لم التشكيك في ما هو شديد الوضوح؟ في مرحلة معيّنة، علينا جميعاً أن نخطي خطوة ثقة باتجاه الأمر المنطقي.»

شبكت أندريا ذراعيها بينما تابع نيك كلامه: «يا أندريا، نحن أصدقاء منذ سنة تقريباً، وأنا أقدِّرك كثيراً، لذا سأتكلّم معك بصراحة وأخبرك بما يدور في فكري. أظنّ أنّك منفتحة للأمور المختصّة بيسوع المسيح، وإلاّ لما كنت حضرت اللقاءات معنا وجئت لصفّ جمال. كما

يمكنـني أن أشـهد أنَّ الأسـابيع القليلـة الماضيـة في حيـاتي كانـت مختلفـة جـداً فأنـا لسـت أشـعر دائمـاً بأنّـني متقـدّم روحيّـاً ولا تـزال لـديّ أسـئلة ومشـاعر إحبـاط، ولكنّـني أعتقـد أنّ الله كشـف عـن ابنـه لنـا في العهـد الجديـد. أنـا لا أعرف كل مـا يتضمّـن ذلـك مـن معـنى، ولكـنّي أعـرف أنّ المسـيح مـات عـلى الصليـب ليدفـع عقـاب خطايـاي ثـمّ قـام مـن بـين الأمـوات. يـا أندريـا، عندمـا طلبـتُ منـه أن يغفـر خطايـاي، عرفـت بثقـة أنّـه اسـتجاب.»

قالـت أندريـا: «أنـت تتـصرّف بشـكل مختلـف في الآونـة الأخـيرة.»

قالـت جيسـيكا: «أنـا أوافقهـا الـرأي أيضـاً. أنـت تبـدو أنـك أكـثر فرحـاً. أظـنّ أنّـني أريـد الحصـول عـلى مـا لديـك.»

فكّر نيك في نفسه: «هل سمعتُها جيداً أم ماذا؟»

«يا جيسيكا، هل تريدين يسوع المسيح في حياتِكِ؟»

«إنّي أفكّر في الموضوع.»

نظـر نيـك إلى جيسـيكا وشـعر باندفـاع الأدرينالـين في جسـمه وقـال: «إنَّ قـرار الإيمـان بيسـوع عـلى أنّـه ابـن الله قـرار لا يمكـن الاسـتخفاف بـه وكذلـك أن تطلـبي منـه أن يخلّصـك مـن خطاياكِ. إنَّه أمـر قـد يجعلـكِ أكـثر سـعادة، ولكـن لا تتخـذي هـذا القـرار فقـط مـن أجـل ذلـك السـبب، بـل خـذي القـرار لأنّـه صحيـح. إذا أردتِ أن تشـعري بالارتياح فحسـب فمـن الأسـهل مشـاهدة فيلـم أو الحصـول عـل جلسـة تدليـك. ثمّـة تكلفـة لاتّبـاع يسـوع المسـيح كمرشـد ومثـالٍ لـكِ، وهـذه ليسـت طريقـة عيـش رائجـة. ولكـن إذا كان الله يبكّتُـكِ لـكي تؤمـني، فافعـلي ذلـك عـلى الفـور، ولـو لـم تحصـلي عـلى إجابـة لـكل أسـئلتك مئـة في المئـة.»

قالت جيسيكا: «سأفكّر في الموضوع بكلّ تأكيد.»

قالـت أندريـا: «وأنـا أيضـاً». ثـمّ أضافـت وهـي تبتسـم: «ولكـن لا تـزال لـديّ أسـئلتي.»

تحـدّث الأربعـة أكـثر عـن يسـوع، وأنهـوا احتسـاء قهوتهـم، واتّفقـوا عـلى اللقـاء مـن جديـد.

الفصل العشرون

الأسفار القانونيَّة

في الحصّة التالية التي دخل فيها نيك إلى صفّ جمال، رأى أندريا جالسة في الصفّ الخلفيّ فجلس بجانبها.

شقّ جمال طريقه إلى الداخل قائلاً: «اليوم سوف نناقش الأسفار القانونيَّة للكتاب المقدّس. يأتي مصطلح «قانوني» هنا من الكلمة التي نترجمها بـ«القصب». الكلمة العربيّة هي قصبة والكلمة اليونانية هي قنون. منذ سنوات عديدة كانت تُستعمل القصبة كعصا للقياس وبدأت تعني «المعيار». وقد قام أوريغن،

وهـو أحـد آبـاء الكنيسـة في القـرن الثالـث، بابتـكار مصطلـح «أسـفار قانونيَّـة». وفي نهايـة المطـاف أصبـح المصطلـح يعـني «قائمـة» أو «مـؤشر».[٦٣] إذاً في هـذا الصبـاح، عندمـا نشـير إلى مصطلـح «أسـفار قانونيَّـة» نحـن نتكلّـم عـن مجموعـة الأسـفار المقبولـة رسـمياً.»[٦٤]

«كـم شـخصاً مـن بينكـم قـرأ إحـدى روايـات دان بـراون مثـل «شـيفرة دافينـشي» أو «الرّمـز المفقـود»؟» رفَـع حـوالى ثلـث الطـلاّب أيديَهـم.

«صحيـح أنَّـه من الممتع قـراءة هذه الكتـب، ولكن تذكّروا أنَّهـا روايـات خياليّـة!» ضحـك جمـال: «عـلى عكـس مـا يقولـه بـراون، لـم يكـن لقسـطنطين علاقة بإنشـاء الأسـفار القانونيَّة. لا أعتقـد حـتّى أنّ الكنيسـة أنشـأت الأسـفار القانونيَّـة. أنتـم تنظـرون إليّ كمـا لـو كنـتُ مجنونـاً لكـن بصـدق، لا أعتقـد أنّ

٦٣. ف. ف. بـروس، الأسـفار والمخطوطـات: كيـف حصلنـا عـلى الكتـاب المقـدس باللغـة الانكليزيّـة (أولـد تابـان، نيـو جـرسي: فليمينـغ هـ. ريفيـل، ١٩٥٠)، ٩٥. اقتبـس منـه جـوش ماكدويـل، الأدلّـة الجديـدة الـتي تتطلّـب إصـدار حكـم (ناشـفيل: دار نـشر توماس نيلسـون، ١٩٩٩)، ٢١.

٦٤. رالـف إيـرل، كيـف حصلنـا عـلى الكتـاب المقـدس الـذي بـين أيدينـا (غرانـد رابيـدس: بيكـر بـوك هـاوس، ١٩٧١)، ٣١. اقتبـس منـه جـوش ماكدويـل، الأدلّـة الجديـدة الـتي تتطلّـب إصـدار حكـم، ٢١.

الكنيسة حدّدت الأسفار التي يجب أن تكون في الكتاب المقدّس، كلمة الله المُوحى بها. بل بالأحرى اعترفت الكنيسة بالأسفار التي أُوحي بها منذ نشأتها أو اكتشفتها. دعوني أعيد صياغة ما قلته. أيّها الطلاّب، أودّ منكم أن تدوّنوا موقفي بشأن مسألة أسفار الكتاب المقدَّس: لا يُعدّ السِّفر كلمة الله لأنّه مقبول من شعب الله، بل بالأحرى إنَّ شعب الله يقبل السِّفر لأنّه كلمة الله. هذا يعني أنّ الله هو الذي يمنح السّفر سلطته الإلهيّة. وكلّ ما يفعله الشعب هو الاعتراف بالسلطة الإلهيّة التي يعطيه إيّاها الله.[٦٥]

حسناً، من الممكن اليوم أنَّ الكثير من أصدقائي الكاثوليك يعتقدون بأنّ الكنيسة هي الحاكمة والمنظّمة للأسفار القانونيَّة. يشير الدكتور نورمان جيسلر ووليام نيكس إلى أنّ عبارة « رسوليّ » المستخدمة لاختبار قانونيّة الأسفار لا تعني بالضرورة « التأليف الرسولي» أو «ما تمَّت كتابته

٦٥. جيسلر ونيكس، مقدّمة عامّة إلى الكتاب المقدس، ٢٢١. اقتبس منه ماكدويل، الأدلّة الجديدة التي تتطلّب إصدار حكم، ٢٢.

٦٦. المرجع نفسه.

بتوجيه من الرُّسل»[٦٦]. فلوقا، الذي كان مساعداً وثيقاً لبولس لم يكن رسولاً، ومع ذلك فإنَّ بولس الذي كان رسولاً قد اعترف بأنّ ما كتبه لوقا يتمتّع بسلطة. أنا أرى أمامي الكثير من النظرات الفارغة، هل تتبعونني؟ هل من أسئلة؟»

رفع شابّ يده وكان نيك يعرفه من صفّ آخر: «سيّد واشنطن، أنا تائه قليلاً. أظنّ أنّني سمعتُك تقول إنّ الرُّسل قد وافقوا على العهد الجديد. ما أودّ معرفته هو ما الذي يجعل من الرسول رسولاً؟ فالكثير من لافتات الكنائس وإعلاناتها تذكر كلمة رسول.»

«هذا سؤال ممتاز يا تشاد! وأنت محقّ بشأن لافتات الكنائس فالكثير من الناس يدعون أنفسهم رسلاً في هذه الأيّام. حتّى الناس في كنيسة عمّي في شيكاغو يدعونه «رسول واشنطن». أنا طبعاً أحبّ عمّي ولكنّي بكلّ تأكيد لن أضعه في المقام نفسه كبطرس وبولس. بعض المجموعات تستخدم هذا المصطلح بشكل غير دقيق لوصف قادة الخدمات ذات النطاق الواسع مثل

ومؤسّسي الكنائس والمُرسلين والآباء الروحيّين. مهما كان السبب فإنَّ الرُّسل الأصليّون فئةً لوحدهم. يسوع هو من دعاهم وأرسلهم. كانوا يُعرفون بـ «الاثني عشر». وليدعوا رُسلاً كان ينبغي أن يكونوا مع المسيح خلال خدمته وأن يكونوا شهود عيان على قيامته. أمّا الرسول بولس فكان حالة فريدةً من نوعها لأنّه اختبر المسيح في وقت لاحق. ولكنَّه حين كتب رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس، قدَّمَ دفاعه أو مرافعته لكونه رسولاً. قال: «ألستُ رسولاً؟ ألم أرَ يسوع ربّنا؟»[٦٧] أي بمعنى أخر، إنَّ اختبارَه برؤية المسيح القائم من الأموات وبتلقّي دعوة المسيح لنشر الإنجيل قد صادَقَ على رسوليّته.»

مشى جمال عبر الجزء الأمامي في القاعة: «كان لدى الرُّسل دور «التكلّم عن الله». وقد قام هؤلاء الرُّسل بقبول أسفار العهد الجديد والاعتراف بها، ومعظم تلك الأسفار كتبها أحدهم. هل تكفي هذه المعلومات لتوضيح من كانوا الرُّسل؟»

٦٧. كورنثوس الأولى ٩: ١

«نعم، شكراً لك.»

«هل أحدكم لديه سؤال آخر؟ تفضّل يا رودريغز.»

«أعرف أنّك ذكرت كلمات المسيح في إنجيل يوحنا ولكن ما المؤشّر الذي يدلّنا على أنّ هؤلاء الرُّسل ظنّوا أنّهم يتكلّمون عن الله؟»

«أمهلني لحظةً واحدة وسأعرض القائمة ليراها الجميع.»

ألقى نيك نظرة على أندريا ورآها مشغولة بتدوين الملاحظات.

وضع جمال شريحة باوربوينت جديدة وتابع قائلاً: «إليكم قائمة مُقتبسة من الباحثين جيسلر وتوريك :

- كتب يوحنا أنّ المؤمنين الأوائل آمنوا بأنَّ الرُّسل هم «من الله» (يوحنا الأولى ٤: ٦)
- يبدأ يوحنا سفر الرؤيا بآية «إعلان يسوع المسيح الذي أعطاه إياه الله» (رؤيا ١:١).

عرض جمال الشريحة التالية.

- زعم بولس أنّ رسائله كانت "بما يعلّمه الروح القدس" (كورنثوس الأولى ٢: ١٣).
- زعم بولس أنّ كتاباته هي "وصايا الرَّب" (كورنثوس الأولى ١٤: ٣٧).
- في رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي، وصف بولس كلماته بأنّها "كما هي بالحقيقة ككلمة الله" (تسالونيكي الأولى ٢: ١٣).
- اقتبس بولس من إنجيلي متّى ولوقا ودعاهما بـ"الكتاب المقدّس".

عرضت الشريحة التالية التي وضعها جمال صورة وجه قديمة للرسول بطرس.

- أشار بطرس إلى رسائل بولس (وهي ثلاثة عشر رسالة) ووافق على أنّها مُوحى بها من الله،

وساواها بباقي الكتابات المقدّسة الموحى بها (بطرس الثانية ٣: ١٥-١٦؛ راجع تيموثاوس الثانية ٣: ١٦).[٦٨]

«سأكتب لكم كلّ هذه الملاحظات على اللوح لتتمكّنوا من الاطلاع عليها في وقت لاحق. هل من أسئلة أخرى؟»

قالت أندريا: «لديّ سؤال مبني على محادثتنا السابقة. إذا كان الرُّسل وشعب الله قد قبلوا بهذه الأسفار في وقت مبكّر منذ البداية، فلماذا استغرقَ جمعُها في مجلّد واحد الكثيرَ من الوقت؟»

«يا أندريا، أنا لا أعرف كامل الأجوبةَ على هذا السؤال ولكن يمكنني أن أشارككم ببعض الأسباب المعقولة. أولاً، ولمعلوماتكم بشأن الخلفيّة، لم تعترف الكنيسة الموحّدة بالأسفار القانونيَّة بحسب ترتيبها الحالي في كتبنا المقدّسة اليوم إلاّ عندَ انعقاد مجلس هيبو في العام ٣٩١ ب.م.

٦٨. غيزلر وتوريك، لا أمتلك ما يكفي من الإيمان لأكون ملحدًا، ٣٦٤- ٦٥.

يـا أندريـا، ثمّـة سـببٌ عمـليّ واحـد جعـل الأسـفار القانونيَّـة للعهـد الجديـد تسـتغرق ثلاثـة قـرون تقريبـاً لتصبـح بترتيبهـا الحـالي. نحـن نعلـم أنّ اللفائـف كانـت كبـيرة جـداً عـلى عكس الكتـب الـتي بـين أيدينـا اليـوم. كان مـن الأصعـب الاحتفـاظ بجميـع المجلّـدات في مـكان واحـد. وكان يوجـد فقـط لـدى بعـض النـاس الأكـثر علمـاً في المجتمـع بضـع لفائـف قليلـة. يـا لـه مـن تفـاوت كبـير مـع عصرنـا هـذا حيـث يمكنـني أن أحمـل معـي أكـثر مـن ألـف كتـاب عـلى جهـازي الكينـدل. وكذلـك، ربمـا أنّ المسـيحيّين الأوائـل في تلـك الثقافـة لـم يحلمـوا يومـاً بامتـلاك نسـخ شـخصيّة مـن جميـع أسـفار الكتـاب المقـدّس السـبعة والعشريـن.

«السّـبب الثـاني قـد يكـون الاضطهـاد. فكمـا تعلمـون، لغايـة العـام ٣١٣ ب.م. كانـت المسـيحيّة غـير شرعيَّـة في الامبراطوريّـة الرّومانيّـة. كان المسـيحيّون الأوائـل يهربـون مـن الاضطهـاد في غالبيّـة الأحيـان ولـم يكـن بإمكانهـم ببسـاطة عقـد مؤتمـر في الجامعـة المحليّـة ومناقشـة الأسـفار القانونيَّـة بشـكل علـنيّ. معظـم المشـاورات كانـت تُجـرى في

السرّ وكان عليهم إخفاء لفائفهم وحمايتها بانتباه وعناية. لدينا دلائل على أنّ المسيحيين في القرون الأولى قد قبلوا بمعظم الأسفار الموجودة اليوم في العهد الجديد الحاليّ واعتبروا أنّها أسفار مُوحى بها وتتمتّع بالسلطة. منذ البداية، بدا أنّ المسيحيّين قبلوا بالأناجيل الأربعة وأعمال الرُّسل ورسائل بولس. لقد اكتشفنا مخطوطة موراتوري التي يعود تاريخها لمنتصف القرن الثاني والتي تذكر ثلاثة وعشرين سفراً من أسفار العهد الجديد، وإيرينيئوس، الذي كتب في أوائل القرن الثاني، اقتبس من أربعة وعشرين من الأسفار السبعة والعشرين. وفي القرون الثلاثة الأولى، كان لدى البعض من اللاهوتيّين أسئلة عن بعض الأسفار القصيرة، مثل رسالة يهوذا ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة. ولكن عندما طرح قادة الكنيسة في القرن الرابع الموضوع على طاولة البحث، بدت الأسفار المُوحى بها واضحة بالنسبة إلى الجميع. وكما يفسّر جسلر: «عندما طُرحت جميع الأدلّة على طاولة البحث، تمَّ الاعتراف بكامل أسفار العهد الجديد

السـبعة والعشريـن ولا شيء سـوى هـذه الأسـفار السـبعة والعشريـن عـلى أنّهـا أصليّـة.»»[٦٩]

بعـد أن تابـع جمـال محاضرتـه عـن الأسـفار القانونيَّـة، ختـم الحصَّـة بالـكلام عـن المتطلّبـات لأوراق البحـث الأخـيرة. ومـشى نيـك خارجـاً مـن الصـفّ مـع أندريـا.

«إذًا، ما رأيك يا أندريا؟»

«أظنّ أنّني بحاجةٍ إلى مشروب.»

«لنذهـب إلى مقهـى برازيـل ونتحـدّث عـن الموضـوع.»

«لا، ليـس هـذا مـا أقصـده يـا نيك. جمـال يقـدّم براهين جيّـدة عـن الكتـاب المقـدّس لكن أنـا فعـلاً لا أريـد أن أفكّر في هـذا الموضـوع الآن. لأنّـه إذا كانـت كلّ هـذه الأمـور صحيحة فقد يعني ذلك أنَّ تغييرات جذرية سـتكون ضروريّة في حياتي!»

بـدلاً مـن الإصرار عـلى الأمـر، قـرّر نيـك أن يصـلّي مـن أجلهـا ويـدع الـروح القـدس يتابـع عملـه.

٦٩. المرجع نفسه، ٣٧٠.

الفصل الحادي والعشرون

مراسيم جنازة في بورتلاند

تكلَّم القسّ المشيخيّ الذي تولّى مراسيم الجنازة المكتظّة في بورتلاند مركِّزاً على العائلة الجالسة في الصفّ الأمامي: «باربرا بيترسون أحبّت كلّ واحد منكم. لقد أحبّت شقيقتها روث وأحبَّت شقيقها ويليام. إنَّ المقرَّبين يدعونك بيل ولقد أخبرتني يا بيل عن الأوقات حين كنتم تركبون الدَّراجات معاً، وعن مقالب كذبة أبريل التي كانت توقعك فيها في طفولتكما. يا بيل وروث، لقد طلبت منّي أن أخبركما أنّها كانت تصلّي من أجلكما كليكما يومياً.»

ثمّ رفع عينيه نحو باقي الجماعة

وقال «لم تتزوّج باربرا يوماً ولم تُرزق بأولاد جسدياً، ولكن كان لديها الكثير من الأولاد الروحيّين. ما نراه اليوم في هذه الكنيسة التي تفيض بمئات الأشخاص، والكثير منهم يقفون في الخلف، يشهد على أنّها استثمرت في حياة الناس. كانت تقول «حياتي ليست مُلكاً لي. أنا مُلكٌ يسوع.» خلال السنوات الستّ الأخيرة، كانت تقضي شهرين كلّ صيف في نيجيريا لتخدم في دور الأيتام. إنَّ تلك القلوب التي لمستها في حياتها قد أصبحت اليوم أقرب من الله بسبب إيمانها. سألتُها قبل وفاتها بشأن ما تريدُني قوله في جنازتها فأجابت «تكلَّم عن يسوع وعن الرّجاء الذي لنا بقيامته». لذلك أودّ القراءة عن ذلك الرجاء الذي يتكلّم عنه القدّيس بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس.»

لِأَنَّ هَـذَا ٱلْفَاسِدَ لَابُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهَـذَا ٱلْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ.

وَمَتَى لَبِسَ هَـذَا ٱلْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، وَلَبِسَ هَـذَا ٱلْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ ٱلْكَلِمَةُ ٱلْمَكْتُوبَةُ: «ٱبْتُلِعَ ٱلْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ.»

«أَيْـنَ شَـوْكَتُكَ يَـا مَـوْتُ؟ أَيْـنَ غَلَبَتُـكِ يَـا هَاوِيَـةُ؟» أَمَّـا شَـوْكَةُ ٱلْمَـوْتِ فَهِـيَ ٱلْخَطِيَّـةُ، وَقُـوَّةُ ٱلْخَطِيَّـةِ هِـيَ ٱلنَّامُـوسُ. وَلَكِـنْ شُـكْراً لِلـهِ ٱلَّـذِي يُعْطِينَـا ٱلْغَلَبَـةَ بِرَبِّنَـا يَسُـوعَ ٱلْمَسِـيحِ.[٧٠]

بعـد أن مسـح الدكتـور ويليـام بيترسـون الدُّمـوع مـن عينيـه بمنديلـه، اسـتدار وأجـالَ بـصرَه في جميـع أنحـاء القاعة المتدرِّجـة. وبينمـا مـرَّت عينـاه فـوق بحـر مـن الوجـوه، توقّفتـا عـلى مجموعـة كبـيرة واقفـة في الجهـة الخلفيَّـة. «يـا للهـول، يـا لأعـداد النـاس الكبـيرة. مـن أيـن جـاءوا كلّهـم... انتظـر لحظـة... لا، هـذا غـير معقـول!» ولكـن بعـد أن ركّـز أنظـاره بـدأ يومـئ برأسـه. «يـا إلهـي. لقـد جـاء مـن تكسـاس بالطائـرة.»

بعـد سـاعة، سـلّم نيـك عـلى الدكتـور بيترسـون في المدفـن بعـد أن غـادر البعـض مـن الحشـد.

«دكتور بيترسون، أنا آسف جداً على خسارتك.»

٧٠. كورنثوس الأولى ١٥: ٥٣-٥٧

«يـا نيـك لـم يكـن عليـك أن تسـافر بالطائـرة كلّ تلـك المسـافة لتخـبرني بهـذا. لديـك دروس في الكليّـة.»

«نعـم، ولكـن أنـت أسـتاذ يعـني لي الكثـير. فأنـت والسـيّدة بيترسـون اسـتضفتماني مـع جيسـيكا عـدّة مـرّات في الفصـل المـاضي وشـعرتُ أنّـه عـليّ فعـل شيء. أنـا أعـرف أنّـك وشـقيقتك كنتمـا قريبـين جـداً مـن بعضكمـا.»

«كانت مميّزة وأنا واثق من أنّها في مكان أفضل الآن.»

عـبَّرت ملامـح نيـك عـن تفاجئـه: «هـل تعـني السَّـماء يـا دكتـور بيترسـون؟ ظننـتُ أنّـك كنـتَ تؤمـن أنّ السَّـماء هـي حالـة ذهنيّـة أكـثر مـن أنّهـا مـكان فعـليّ.»

«حسـناً، أنـا لسـتُ متأكّـداً تمـام التأكيـد يـا نيـك. لكـنّ شـقيقتي كانـت قدّيسـة إذا كان هنـاكَ قدّيسـون. وفي أوقـات مثـل هـذه، أودّ أن أصـدّق أنّ السَّـماء حقيقيّـة. أنـا لا أعرف.»

أومـض الأسـتاذ بعينيـه المملوءتـان بالدمـوع كمـا لـو أنّـه بـدا متفائـلاً بشـأن حقيقـة السَّـماء.

لـم يعـرف نيـك مـاذا ينبغـي أن يقـول لأنّـه في جنـازة وأسـتاذه في حالـة حـزن ولكنّـه كان متفاجئـاً جـداً مـن تعليـق الدكتـور بيترسـون لدرجـة أنَّـه قـال باندفـاع: "يمكنـك أن تعـرف أنّهـا حقيقيّـة! في الشّـهر المـاضي اكتشـفتُ أنّ الكتـاب المقـدّس حقيقـيّ. أنـا أتبـع المسـيح الآن وأنـا مقتنـع بـأنّ السَّـماء مـكان حقيقـيّ.»

قلـب الدكتـور بيترسـون عينـاه ووضـع يـده عـلى كتـف نيـك: «آه يـا نيـك، أرى أنّـك كنـت تمـضي أوقاتـاً مـع المـدرِّس المسـاعد جمـال. أنـا أحـبّ جمـال وأحترمـه ولكـن دعنـا نتحـدّث في اللاهـوت عنـد عـودتي إلى المدينـة.»

«اعـذرني يـا دكتـور بيترسـون، ربّمـا لـم يكـن يجـدر بي أن أذكـر الأمر.»

"لا بـأس. أنـا بنفـسي أفكّـر في بضعـة مسـائل أصـلاً. أنـا أقـدّرك يـا نيـك وهـذا لطـف منـك أن تـأتي اليـوم. في الواقـع وبـدون شـكٍ أنـت الطالـب الأكـثر لطفـاً الـذي عرفتُـه يومـاً.»

الفصل الثاني والعشرون

إعادة التفكير في الحقيقة

مع أنَّ عائلة آل بيترسون عادت إلى دالاس بعد أسبوعين، قرّر الدكتور بيترسون تمديد إجازته الإستثنائيَّة لما تبقّى من الفصل الدراسيّ. ثمَّ قام الدكتور وزوجته سوزان بدعوة نيك وجيسيكا إلى منزلهما لقضاء أمسية معاً. كان نيك قد أخبر الدّكتور بيترسون بأنّ علاقته بجيسيكا قد انتهت ولكن لم يكن لديه أيّ مشكلة بإحضارها معه بما أنّها تتفق جيداً مع السيدة سوزان. خلال العشاء، تحوَّل الحديث إلى الشقيقة الرَّاحلة للدكتور بيترسون، باربرا.

قالت سوزان: «لم أعرف يوماً امرأة عاشت إيمانها بذلك الالتزام كشقيقة بيل. كانت تخدم الأيتام في أفريقيا بتفانٍ كبير.»

أضاف الدكتور بيترسون بعد أن تناول قضمة من الدّجاج المشوي: «كان لديها قلب من ذهب بالفعل.»

تابعت سوزان: «وقناعات راسخة! ليتكما يا نيك وجيسيكا سمعتماها حين كانت تكلِّم أخوها. كانت تحبّه لدرجة أنَّها كانت تحرص على مشاركته برأيها في كلّ فرصة تسنح لها.»

قال نيك مع ابتسامة: «ماذا تعنين؟»

ردّت سوزان: «حسناً، لنقل أنّهما أجريا بعض المناقشات المحتدمة حول مسائل الإيمان. لكنَّها كانت تبقى مرحةً جداً حتّى حين نخالفها الرأي كليَّاً. سأفتقدها!»

تابع الدكتور بيترسون: «أظنّ أنَّها كانت على حقّ في أمور كثيرة، أكثر من تلك التي أقرَّيت بصحتِّها. وحين أتذكَّر ذلك، أتمنّى لو كنتُ قد تعاملتُ معها بلطف أكبر

لاسيما عندما تطرَّأنا بأحاديثنا إلى مسألة الأناجيل الأخرى.»

سألت جيسيكا «ولماذا؟»

«في الواقع، أنا لم أصدّق يوماً أنَّ الأناجيل الأخرى أكثر مصداقيَّة من الأناجيل الأربعة. لكنَّني عارضت شقيقتي فقط لأنني أردت أن أُثبت لها أنَّني أذكى منها وأنَّني لم أرد الموافقة على آرائها المحدودة.»

وضع نيك شوكته من يده: «ظننتُ أنّك قلت في بداية الحصص الدراسيَّة إنّ الأناجيل الأخرى أكثر مصداقيَّة من الأناجيل الموجودة في العهد الجديد.»

«يا نيك، لقد أبهرتني تلك الأناجيل لوقتٍ طويل ولكنّي لم أنشر يوماً بحثاً موسّعاً عنها لأنّني عرفتُ أنّها مليئة بالغنوصيّة من القرن الثاني والثالث. خلال إجازة التفرّغ الدراسي أعدتُ النظر في مصداقيّتها. وإذا أردتُ أن أكون صادقاً وإذا كانت أناجيل العهد الجديد أناجيلٌ أمينة في سردها بالفعل، فسيترتَّب من ذلك نتائج خطيرة بشأن ما يتعلّق بالحياة بعد الموت.»

قال نيك: «سمعتُ أنّ البعض من الأساتذة الأعضاء في الكليَّة لم يتّفقوا مع تعليم جمال بشأن حقيقة العهد الجديد من الناحية التاريخيَّة. لكن أنتَ إذاً لم تُعارض بالكامل تعليم جمال؟»

«عرفتُ ما كنتُ أورّط نفسي فيه عندما عرضتُ الوظيفة على جمال. ولكن بكلِّ صدق، إنّ وفاة شقيقتي جعلتني أعيد النظر في طريقة تفكيري في كلمة الله. ينبغي الاطّلاع على الأناجيل الغنوصيّة ودراستها، ولكنّها لا تزعزع بأي شكل من الأشكال مكانة الأناجيل الكتابيّة الأربعة.»

سألت جيسيكا «ولم لا؟»

«حسناً، دعونا نذهب إلى مكتبتي وسأريكما بعض تلك الأناجيل.»

الفصل الثالث والعشرون

ماذا عن الأناجيل الأخرى؟

بعد العشاء أخذ الدكتور بيترسون نيك وجيسيكا إلى مكتبته.

بانبهار شديد حدَّق نيك في الرفوف الكثيرة المليئة بالمجلدات العلميَّة وقال: «واو، مكتبتك هائلة.»

قال الدكتور بيترسون: «لديّ هنا بعض النسخ من الأناجيل الغنوصيّة. البعض منها مثل إنجيل الحقيقة وإنجيل توما وإنجيل فيليب وإنجيل المصريّين وإنجيل مريم وُجدت ضمن مجموعة مخطوطات

نجع حمادي التي نُشرت باللغة الانكليزيّة في العام ١٩٧٧.»

سألت جيسيكا «ما هي الغنوصيّة بالتحديد؟»

ردّ الدكتور بيترسون: «كانت الغنوصيّة مدرسة فكريّة، بل أكثر من مدرسة فكريّة واحدة، وقد سعت إلى الوصول إلى الخلاص عن طريق المعرفة السريّة. ربمّا أكثر عملين معروفين في الغنوصيّة هما إنجيل توما وإنجيل توما الطفولة. ها هي المجموعة، ألقيا نظرةً عليها.»[٧١]

تناول كتاباً صغيراً وأعطاه إلى جيسيكا.

تصفّحته قليلاً.

ابتسم الدكتور بيترسون ابتسامةً عريضة وقال: «تفضّلي اقرئي البعض مما كُتب فيه بصوتٍ عالٍ ليسمع نيك.»

«قال يسوع، «مباركٌ هو الأسد الذي يأكله الانسان، ويصبح الأسد انساناً، وملعونٌ هو الانسان الذي يأكله الأسد

٧١. ماكدويل، شيفرة دا فينشي، ٢١.

ويصبح الأسد انساناً».»[٧٢]

علّق نيك قائلاً: «ما معنى هذا كلّه؟ ليس فيه منطق أو معنى.»

«من المضحك أن تقول هذا يا نيك، وأنا بالحقيقة أوافقك الرأي. منذ سنوات تلقّيت دعوة مميَّزة وإكراميَّة نقديَّة من أجل التدريس عن هذا الموضوع مع باحث من برينستون. كان الأمر غريباً لأنّ عدداً كبيراً من الناشطين النسائيّين اللاهوتيين هناك دعمن النظريّة القائلة إنَّ نظرة الأناجيل الغنوصيّة للنّساء هي أرق من نظرة الأناجيل العاديّة. لقد وافقتهم الرأي وقتها لكنّي لم أنجح في الاقتناع بالأمر فكريّاً. دعاني أُركِما شيئاً. من فضلك افتحي آخر إنجيل توما يا جيسيكا، هذه الصفحة هنا، واقرئي.»

أمسكت جيسيكا بالكتاب وقرأت بصوتٍ عالٍ: «قال لهم سمعان بطرس: «لتذهب مريم من وسطنا لأنَّ النساء لا يستحقنَّ الحياة.» قال يسوع: «ها أنا سأقودها

٧٢. «إنجيل توما للطفولة»، في الأسفار المفقودة من الكتاب المقدس والأسفار المنسيّة من عدن (دالاس: وورد بابليشينغ، ١٩٩٤)، ٧. اقتبس منه ماكدويل، شيفرة دا فينشي، ٢١.

لأجعل منها ذَكَراً لكي تصبح هي أيضاً روحاً حيّاً مثلكم أنتم الذكور. لأنّ كلّ امرأة تجعل من نفسها ذكراً ستدخل ملكوت السماوات».»[٧٣]

توقّفت جيسيكا عن القراءة: «حسناً، لقد فهمتُ الآن ما تعنيه. أظنّ أنَّ عليّ أن أصبح ذكراً لكي أدخل السماء!»

قال نيك: «متى كُتبت هذه الأناجيل الأخرى؟»

«هذا سؤال جيّد يا نيك. لا أحد يؤمن أنّ الرَّسول توما هو الكاتب الحقيقي لإنجيل توما. يعتبر الباحثون بشكل عامّ أنّ ذلك الانجيل قد كُتب في سنوات متأخرَّة من القرن الثاني وكذلك إنجيل توما الطفولة، الذي لم يُكتب قبل تلك الفترة المتأخرَّة. على نحو مماثل، فإنّ إنجيل فيليب وإنجيل مريم لم يُكتبا قبل القرن الثاني وربما أيضاً في القرن الثالث.»[٧٤]

٧٣. «إنجيل توما»، ١١٤. اقتبس منه ماكدويل، شيفرة دا فينشي، ٢٢.

٧٤. الأسفار المفقودة من الكتاب المقدس والأسفار المنسيّة من عدن، ٢٤٦-٤٧. اقتبس منه ماكدويل، شيفرة دا فينشي، ٢٣.

سألت جيسيكا: «أتعني بعد حوالى مئة سنة من حياة يسوع؟»

أومأ الدكتور بيترسون برأسه ايجاباً وقال: «على الأقلّ.»

في تلك اللحظة دخلت السيدة سوزان بيترسون وأعلنت أنَّه حان وقت تناول الحلوى: «من يرغب في تناول فطيرة كرز وبعض القهوة؟»

قال نيك: «سيكون ذلك رائعاً.»

الفصل الرابع والعشرون

الإنجيل الحقيقي

قالت جيسيكا وفمها مشغول بتناول الفطيرة: «إنّها شهيّة للغاية.»

أنهى نيك فطيرته بالكامل قبل أن يتكلّم: "حسنًا يا دكتور بيترسون، أنا لا أفهم تماماً. عندما حضَرتُ حصّتك للمرّة الأولى في الخريف، كانت بعض تعاليمك بالإضافة إلى البعض من الكتب التي أوصيت بقراءَتها لباحثين مثل بارت إيرمان تشجّعني على التشكيك في ثقتي بالكتاب المقدّس. ولكن بعد التحقيق

في المسألة مع جمال خلال الأشهر القليلة الماضية وبعد التكلّم مع أساتذة من كليّة دالاس وريديمر وساوثويسترن أصبحتُ مقتنعاً بأنّ العهد الجديد موثوق به تاريخيّاً. وبما أنّه جدير بالثقة تاريخياً، وجدتُ أنّه من الضروريّ إعادة النظر في شخص يسوع المسيح وعمله على الصليب وقيامته. هل أنتَ تؤمن بأنّ يسوع المسيح هو ابن الله الذي مات عن خطايانا وقام من الأموات؟»

قال الدكتور بيترسون: «لستُ واثقاً من ذلك».

«كلّ ما عليك أن تفعله هو أن تؤمن به. نحن لا نحصل على الخلاص بأعمالنا بل بفضل نعمة الله من خلال الوثوق بألوهيّة يسوع وموته وقيامته. هل تؤمن بذلك؟»

«حسناً، ليس الأمر بتلك البساطة يا نيك.»

ردّ نيك بانفعال: «بل هو كذلك! لقد ذكرتَ أنَّ شقيقتك انتقلت إلى السَّماء. لماذا تؤمن بوجود السَّماء؟ ما هو الأساس الذي ترتكز عليه؟»

توقّف نيك قليلاً بعد أن لاحظ فجأةً مدى جرأته في التكلّم مع أستاذه.

«حسناً، لدى سوزان موقف إيجابيّ أكثر منّي نحو الكتاب المقدّس والكنيسة، لكنّني لا زلتُ أتصارع مع بعض الأسئلة فكرياً. عليك أن تدرك أنّي لم أعبّر عن كلّ الأمور التي تحيّرني في الصفّ».

سأل نيك «هل يوجد سؤال معيّن يُتعبك؟» وهو يأمل ألاّ يطرح الدكتور بيترسون سؤالاً معقّداً لا يمكنه الإجابة عليه.

«أنا لا زلتُ أتصارع مع الاختلافات الموجودة في النسخ التي بين أيدينا.»

«أنا كنتُ كذلك يا أستاذ، ولكن هل تعرفُ الدكتور دانيال والاس؟ لقد استنتج كأستاذٍ أنّه يمكننا الوثوق بصحّة ما تذكره الأسفار الأصليّة في الكتاب المقدّس».

«نعم بالطبع أنا أعرف دان، وقد قرأتُ كلّ أعماله.

لطالما احترمتُ جرأتك وقلبك الباحث يا نيك. أنت تذكّرني كثيراً بنفسي عندما كنتُ في عمرك.»

قال نيك: «حسناً، هل أنت على استعداد لتتوب عن خطاياك وتثق بما فعله المسيح من أجلك على الصليب؟»

ضحك الدكتور بيترسون بصوتٍ أعلى: «أنت تحبّ أن تدخل في صلب الموضوع مباشرةً، أليس كذلك؟ أنت مثل بيلي غراهام بعمر أصغر.»

قالت سوزان: «أتعرف ماذا يا بيل، أظنّ أنَّ نيك على حقّ. كنتُ أرغب في العودة إلى قراءة الكتاب المقدّس. أذكر أنّني في طفولتي كنتُ أتكلّم مع يسوع بصورة متكرّرة. أشعر أنّني أفتقده. ربما علينا التفكير في إعادة الارتباط بالكنيسة.»

لم يرغب نيك في تغيير مجرى الحديث: «من الهامّ أن يلتزم الشخص بكنيسة يا سيّدة بيترسون، ولكن يجب أن نتذكّر أنَّ الخلاص هو بنعمة الله. كما تقول الآية التي حفظتها مؤخّراً في رومية «الَّذِي يَعْمَلُ فَلاَ تُحْسَبُ لَهُ

الأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ. وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرّاً».[٧٥] أعرف يا دكتور بيترسون أنّك قرأت تاريخ الكنيسة أكثر منّي وأنّه يمكنك قراءة رسالة رومية باللغة اليونانيّة، ولكن كنتُ أتساءل ما إذا كنتَ آمنت يوماً على وجه التحديد بموت المسيح الكفّاري عن خطاياك؟»

« من فضلك يا نيك، أتظنّ أنّه في وسعك إقناعي بشيء قضيتُ مسيرتي المهنيّة بكاملها وأنا أدرسه؟»

«حسنًا، لستُ واثقاً من ذلك، ولكن إذا كان روح الله يبكّتك، لا تقاومه.»

قال الدكتور بيترسون بتنهّد: «ما يجب قبوله يتخطى الحدود وهذا التفسير ضيّق المنطق.»

قالت سوزان: «كن لطيفاً يا بيل.»

تابع الدكتور بيترسون: «نيك يعرف أنّي أحبّه وأحترمه.

٧٥. رومية ٤: ٤-٥

إليكم الوضع الحالي. أنتم تعلمون جميعكم أنّني أعيد النظر في بعض الأمور الروحيَّة ولكنّني لن أبدأ بالتظاهر بأنّ لديّ علاقة شخصيّة كتلك التي يتحدّث عنها المسيحيّون. من الناحية الأكاديميّة، أعتقد أنّ المسيح التاريخيّ قد يختلف عن المسيح الذي يراه المسيحيّون في العهد الجديد.»

لكنّك تعلم أن العهد الجديد كتبه شهود عيان وأشخاص أجروا مقابلاتٍ مع شهود عيان، أليس كذلك يا دكتور بيترسون؟»

«لنتكلّم عن الموضوع في وقت لاحق يا نيك.»

أراد نيك أن يضغط عليه أكثر لكن كان واضحاً أنّ الدكتور بيترسون لن يقبل بأي ضغط قد يجعله يتخطّى حدود ما يمكن القبول به أكاديمياً.

قال نيك مع ابتسامة: «حسناً. في وقت لاحق.»

غيّر الدكتور بيترسون الموضوع إلى أداء فريق دالاس «مايفيريكس» في تصفيات الدَّوري الأميركيّ لكرة السلة وبعد مرور وقت قليل غادر نيك وجيسيكا. لم يكونا

قـد تحدّثـا كثـيراً مـع بعضهمـا وشـعر نيـك بنـوعٍ مـن الغرابـة لأنّـه قـد أحضرهـا معـه. كمـا وأنّـه شـعر بالاسـتياء لأنّـه رفـع صوتـه في وجـه الدكتـور بيترسـون، وأمـل ألاّ يكـون اسـتجوابه العـدوانيّ قـد جعـل الأسـتاذ يغـيّر رأيـه. هـل شـكّل وعظـه فرقـاً مـا بالنسـبة إلى عالِـم لاهـوتي؟ فكّـر في عـدّة تعابـير تمـنّى لـو أنّ بإمكانـه العـودة إلى الـوراء وقولهـا بشـكل مختلـف. وبعدهـا بـدأ يشـعر بالإعيـاء بسـبب ذلـك، كمـا لـو أنّـه فـوّتَ عليـه فرصـةً جيّـدة أو ربمـا قـال الكثـير. ربمـا يجـدر بـه الاتصـال بجمـال ولكنّـه لا يرغـب في الإفصـاح عـن أي مـن الأحاديـث الشـخصيّة والسريّـة الـتي أجراهـا لتـوّه مـع الدكتـور بيترسـون. ربمـا بيترسـون قـد أخـبره بصـدق عـن أمـور كثـيرة أكـثر ممّـا فعـل مـع أي طالـب آخـر مـن قبـل. كان نيـك لا يـزال يتخبّـط في أمـواجٍ مـن الإحبـاط وهـو يوصـل جيسـيكا إلى شـقّتها.

لـم يكـن يعلـم بـأنّ جيسـيكا سـتتّصل بمينـا بعـد ثلاثـين دقيقة.

«أنا بحاجة إلى التكلّم معك عن الله.»

قالت مينا: «بالطبع.»

«لا أريد أن يظنّ نيك أنّني أقوم بذلك من أجله، ولهذا السبب اتّصلتُ بك. أريد أن أبدأ بالإيمان بالمسيح كما أنت تفعلين.»

«يا جيسيكا، إذا كان قلبكِ جاهزاً فالأمر بسيط للغاية. بكلماتك الخاصَّة قولي لله إنّكِ أخطأت تجاهه. فمثلاً عندما جئتُ أنا إلى الله للمرّة الأولى، قلتُ له إنّني كنتُ أنانيّة ومتفاخرةً بنفسي وأحبّ النميمة وفضَّلت وضع آلهة أخرى مثل الشباب والممتلكات الماديّة في المقام الأوّل قبله.»

«لا أستطيع أن أتخيّلك بذلك الشكل البتة يا مينا.»

«لقد كنتُ أسوأ بكثير ممّا قد تعرفين يوماً! ولكن بنعمة الله تحرّرتُ. تقول الآية في رومية ٣: ٢٣ «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله». وهذا يشملني أنا وأنتِ. وبعد بضعة إصحاحات تقول «لأنّ أجرة الخطيئة هي موت». الخطيئة أمر خطير والخطوة الأولى في المجيء إلى الله هي بقول الحقيقة الصادقة والاعتراف بخطايانا وطلب غفرانه.»

«أنتِ على حقّ. لقد كنت فعلياً أعيش بأنانيّة لنفسي وتصرّفت بحقارة مع كثيرين.»

«الخبر السّار يا جيسيكا هو أنّه على الرغم من خطيئتك، ومن أفظع خطيئة لديكِ، فإنّ الله يحبّك. ويقول لنا الكتاب المقدّس في رومية ٥: ٨ «لكن الله بيّن محبّته لنا، لأنّه ونحن بعدُ خطاة مات المسيح لأجلنا.» مات المسيح من أجلك يا جيسيكا ولهذا جاء في الآية الشهيرة في يوحنا ٣: ١٦ "لأنّه هكذا أحبّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كلّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.»

«أنا أحبّ تلك الآية.»

«حسناً، إذا أردتِ، يمكنكِ أن تصلّي في هذه اللحظة على الهاتف. هل ترغبين في ذلك؟»

«نعم». شعرَت جيسيكا بأنَّ قلبها يخفق بسرعة ويديها بدأتا تتعرّقان. عرفت أنّها على وشك أن تتَّخذ أهمّ قرار في حياتها. شعرت بتردّد مفاجئ يملأ عقلها وهي

تفكّـر بالكلمـات الـتي ينبغـي أن تسـتخدمها للتكلّـم مـع الله القديـر. بـدا كمـا لـو أنّ مينـا قـرأت أفكارهـا وحاولـت التخفيـف مـن تلـك المخـاوف قبـل أن تتمكّـن جيسـيكا مـن التعبـير عنهـا.

«يـا جيسـيكا، عندمـا نصـلّي إلى الله، ليـس الـشرط أن تكـون صلاتنـا أن كاملـة. تذكّـري أنّـك تتكلّمـين مـع آب محـبّ يدعونـا لنـأتي إليـه. تكلّمـي مـن قلبِـكِ ببسـاطة، أقـرّي بخطيئتـك واعـترفي بعمـل يسـوع عـلى الصليـب مـن أجـل خلاصــك.»

«حسـناً، سـأفعل ذلـك الآن.» توقّفـت جيسـيكا قليـلاً بصمـت ثـمّ بـدأت تتكلّـم بقلـبٍ صـادق وقالـت: «يـا الله، أودّ أن أقـول لـك إنّـني أحتـاج إليـك في حيـاتي. مينـا محقّـة. أنـا خاطئـة وأعـرف أنّـني خذلتُـك وأدرتُ لـك ظهـري مـرّات كثـيرة. لقـد كذبـتُ وتكلّمـت بنميمـة وشربـتُ حـتّى الثمالـة مـرّات كثـيرة وضاجعـتُ شـباباً. حـتّى إنّـني هزئـتُ مـن نيـك ومـن غـيره الذيـن كانـوا يؤمنـون بـك. يـا الله، أنـا أثـق الآن بـأنّ كلامـكَ هـو الحـقّ. وأنـا أؤمـن بـأنّ يسـوع هـو ابنـك

وأريده أن يكون المخلّص والربّ على حياتي. شكراً لك يا يسوع لأنّك متّ لتدفع ثمن خطيئتي. أرجوك أن ترحمني كما رحمتَ تلك المرأة عند البئر التي أخبَرَتني عنها مينا قبل بضعة أسابيع. شكراً لك يا الله. آمين.»

أسرعت مينا بالذهاب إلى شقّة جيسيكا وتعانقت الصديقتان وضحكتا وتحدّثتا حتّى تجاوزت الساعة الثانية بعد منتصف الليل. إنَّ هذه الليلة كانت أفضل من أيّ حفلة أو احتفال حضرته جيسيكا في حياتها بأكملها. أصبحت الآن تحسّ بشعور رائع من السّلام الذي اجتاح حياتها كلّها. وبدا كأنّها تبدأ فصلاً جديداً من كتاب كبير احتوى في السابق على الكثير من أوجاع القلب والحزن والضياع. ولكن في هذه الليلة، حصلت بداية جديدة وجاء وقت فرح عظيم واحتفال على الأرض وفي الكون أيضاً، لأنّ الكتاب المقدّس يقول: «يكون فرح قدّام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب.»[٧٦]

٧٦. لوقا ١٥: ١٠

تشمل سلسلة «أحاديث في مقهى»:

هل الكتاب المقدّس صحيح... حقاً؟

من هو يسوع... حقّاً؟

هل تمَّتْ القيامة... حقّاً؟